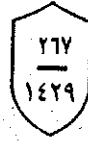




المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
عمادة البحث العلمي

مركز بحوث كلية التربية



الجمعية - الفردية والخصوصية الثقافية للمجتمع السعودي

مجتمع محافظ أم ناقد ؟

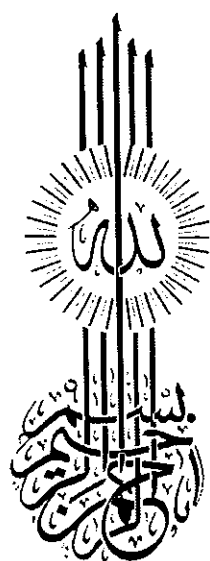
إعداد

د. عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الرويتع

قسم علم النفس - كلية التربية

جامعة الملك سعود

دراسة علمية محتملة





المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
عمادة البحث العلمي
مركز بحوث كلية التربية

الجمعية - الفردية والخصوصية الثقافية للمجتمع السعودي مجتمع محافظ أم ناقد؟ *

اعداد

د. عبدالله بن صالح بن عبدالعزيز الرويتع

قسم علم النفس - كلية التربية
جامعة الملك سعود

دراسة علمية محكمة

* دعم هذا البحث من مركز البحوث بكلية التربية - جامعة الملك سعود.

③ جامعة الملك سعود ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الرويتع ، عبد الله بن صالح بن عبد العزيز

الجمعية الفردية والخصوصية الثقافية للمجتمع السعودي : مجتمع محافظ أم ناقد /

عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الرويتع - الرياض ، ١٤٢٩هـ

۵۸ ص، ۱۷×۲۴ سم

ردمك : ٩٧٨-٩٩٦٠-٥٥-٣١٦-٠

١- المجتمع السعودي ٢- القيم الاجتماعية أ. العنوان

ديوي ۳۰۹،۱۵۳۱ ۱۴۲۹/۲۶۱۲

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٢٦١٢

ردمك : ٩٧٨-٩٩٦٠-٥٥-٣١٦-٠

النشر العلمي والمطابع ١٤٢٩هـ



الفهرس

ملخص	٥
مقدمة	٦
الجمعية والفردية	٦
الدراسة العاملية	١١
الدراسة الأولى	٢٠
الدراسة الثانية	٢٤
الدراسة الثالثة	٢٩
الدراسة الرابعة	٣٠
التطبيقات: البحثية والعلاجية	٣٩
الجمعية والفردية كمفاهيم غربية	٤٣
الخلاصة	٤٨
المراجع	٤٩
الملاحق	٥٤

ملخص

يتناول هذا البحث الخصوصية الثقافية للمجتمع السعودي والتي برزت في بعض الدراسات وتفسيرها من خلال مفهوم الجمعية والفردية. وتستعرض الدراسة أدلة على تلك الخصوصية أو الاختلاف مع فحصها من خلال مجموعة من الدراسات. وتنحصر الخصوصية في ميل المجتمع السعودي نحو الجمعية أكثر من الفردية؛ وأهمية صورة الفرد لدى الآخر؛ وأخيراً الفروق البارزة بين الذكور والإناث في انتظام عدد من المفاهيم النفسية. هذا وغيره تطرحه هذه الدراسة بتسلسل يبدأ بتناول وتقبل مفهوم الجمعية والفردية وتفسيره لبعض الاختلافات الثقافية، وينتهي بالتساؤل حول المفهوم المفسر نفسه: الجمعية والفردية. والخلاصة هي التوصية بفحص المفاهيم بعيداً عن «الاستيراد» غير الدقيق؛ مما ينعكس على صحة النتائج والاستنتاجات.

مقدمة

هنالك توجه عام في علم النفس منذ أكثر من عقدين مفاده أن المتغيرات النفسية تتباين وفق اختلاف الثقافات. وهذا ما فرضته معطيات كثير من الدراسات التي أشارت -في المجمل- إلى أنه من الخطأ فرض نظريات علم النفس الحالية الغربية المنشأ على «الإنسان» بغض النظر عن ثقافته. وهذا باختصار هو طرح أحد فروع علم النفس: علم النفس عبر الثقافي.

وفي هذه الدراسة -التي تحتوي على استعراض عدد من الدراسات في المجتمع السعودي -نحاول التأكيد على أن فحص المفاهيم أمرٌ لا بد منه، وتفرضه مطالب الصرامة العلمية ومعطيات الدراسات التي تؤكد على أن ثمة تبايناً إنسانياً رغم وجود المشترك الإنساني، مهما قيل من عولمة أو غيرها. وهذا الاستعراض يتناول أحد أهم الأبعاد الثقافية (الجمعية والفردية) لبيان أن كثيراً من النتائج في الثقافة المعنية هنا (السعودية) تؤكد على أن المجتمع أقرب إلى الجمعية منه إلى الفردية، مع وجود مظاهر أخرى قد تميزه عن غيره؛ من قبيل الصرامة في التنشئة، واختلافها بين الذكور والاناث، والمجتمع السعودي في هذا بيئة مثيرة للنهم العلمي النفسي والاجتماعي لعدة أسباب منها: تباينه عن النموذج الغربي المكتسح للعالم -على الأقل- في أحد جوانبه: العلاقة بين الرجل والمرأة. والتغيرات الاقتصادية والديموغرافية والاجتماعية لاسيما منذ السبعينيات وحتى الآن.

تتمحور هذه الدراسة حول قضية التباين الثقافي؛ وبالتالي أهمية مراعاته، وعدم «الاستيراد» دون فحص بسبب اختلاف المجتمع في أحد أهم الأبعاد الثقافية: الجمعية والفردية.

الجمعية والفردية: (١)

لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي تميزه عن غيره من المجتمعات. وقد تتقاطع تلك الثقافة مع ثقافات أخرى بشكل كبير، أو يكون العكس: تميز واختلاف كبير مقارنةً بتشابه قليل. وقد يصدق هذا في حدود معينة على المجتمع السعودي الذي يتصف

(١) سيتم تناول الجمعية والفردية كما هي في التراث النفسي حسب التصور المطروح الآن: الغربي.

بخصوصية ثقافية انعكست في تشكل أو تغير بعض المفاهيم النفسية (انظر: الرويتع، ٢٠٠٢؛ الرويتع والشريف، ٢٠٠٢؛ الشريف والرويتع، ٢٠٠٧؛ Alanazi, 2002). وما يجب ملاحظته هو أن الخصوصية لا تعني الأفضلية، بل تشير إلى انتظام مختلف للمفاهيم المعنية (النفسية) مقارنةً بسياقات (ثقافات) أخرى.

وتتضح تلك الخصوصية - كما يبدو من الملاحظات - في مظاهر عديدة تبرز في السلوك اليومي وفي كل مكان سواء كان أسرياً أو مهنيّاً أو اجتماعياً. ومن أبرز تلك المظاهر قوة المعايير الاجتماعية، والحساسية للنقد والتقبل؛ أو بمعنى آخر عدم المرونة في كثير من السلوك الاجتماعي. ومن ضمن تلك المظاهر مقاومة التغير، والشعور بالتهديد من كل جديد. كما تبرز المجازاة conformity كأحد أهم الخصائص في المجتمع السعودي. والجدير بالذكر أن هذا نتاج ملاحظات فقط؛ لكن ما أبرزته بعض الدراسات يدعم - بشكل مباشر أو غير مباشر - ما سلف من حيث خصوصية المجتمع السعودي التي تظهر في أكثر من جانب؛ سواء في بروز بعض الاضطرابات بشكل كبير مثل الخوف الاجتماعي (الرويتع، ٢٠٠٤ أ)، أو تغير بعض المفاهيم (الرويتع، ٢٠٠٢ أ) مما يجعل تناول أو «استيراد» المفاهيم دون الفحص العلمي الدقيق خطأ منهجياً يفتح الطريق إلى أخطاء في النتائج والاستنتاجات. وعملية الفحص والتدقيق للمفاهيم عبر الثقافات قضية أثرت حتى من بعض الباحثين الغربيين الذين يشيرون إلى أن نظريات علم النفس الحالية هي نتاج غربي ومن خلال ثقافة غربية، وبالتالي يجب فحص المفاهيم النفسية في ثقافات أخرى تختلف عن الثقافة الغربية في بعض المتلازمات الثقافية cultural syndromes بل يذهب بعض الباحثين إلى أن "كل نظريات وبيانات علم النفس المعاصر تقريباً تأتي من عينات غربية (مثل الأوروبية، الأمريكية الشمالية، الأسترالية الخ). بالرغم من أن ٧٠٪ من البشر يعيشون في ثقافات غير غربية. وإذا ما أريد لعلم النفس أن يكون فرعاً علمياً عالمياً فإنه بحاجة إلى أن تكون البيانات والنظريات من غالبية البشر" (Triandis, 1996, p 407).

ويبدو أن أحد أهم المكوّنات - التي قد تفسر إلى حدّ كبير مظاهر تلك الخصوصية - مفهوم "الجمعية" collectivism مقابل "الفردية" individualism. ويمكن اعتبار هذا العامل الثقافي من أكثر العوامل التي استقطبت البحث ليس في علم النفس فقط وإنما في مجالات علمية متعددة مثل السياسة وعلم الاجتماع و- قبل ذلك - الفلسفة (Oyserman, Coon, & Kemmelmeier, 2002; Triandis Bontempo, Villareal, Asia, and Lucca, 1988).

ويمكن القول بأن الميزة أو الخصيصة الأساسية التي تتصف بها الثقافة الجمعية هو أن السلوك الاجتماعي للفرد يتحدد بشكل كبير بواسطة أهداف الجماعات التي ينتمي إليها الفرد - والتي هي في الغالب تقليدية (مثل: الأسرة، القبيلة) - وليس أهدافه الخاصة. وإذا تعارضت أهدافه الخاصة مع أهداف الجماعة، فإن الفرد يتنازل عن الأولى لصالح الثانية. أما الفرد في الثقافة الفردية فعلى العكس من ذلك: قد تتداخل الأهداف الخاصة مع أهداف الجماعات التي ينتمي إليها في حدود معينة إلا أنه في حالة التعارض يميل إلى تغليب أهدافه الخاصة، وقد يترك الجماعة ليتجه نحو جماعة أخرى. والجدير بالذكر أن الجماعات في الثقافة الجمعية أقل منها في الثقافة الفردية، كما تتميز بأنها تقليدية (الأسرة أو القبيلة)، إلا أنها أكثر استقراراً. وتأثير الجماعات في الثقافة الجمعية شامل وعميق بينما هو محدود وسطحي في الثقافة الفردية. لذا فإن المجازاة، بشكل عام، خصيصة للثقافة الجمعية (see Triandis et al., 1988).

ويمكن اختصار ما سبق - مع تحديد أكثر لمميزات الجمعية مقابل الفردية - في النقاط التالية:

(١) فيما يخص تعريف الذات فإن الثقافة الجمعية تتناول الجماعات كوحداث تحليل؛ بينما تستعمل الثقافة الفردية الأفراد. كذلك فإن تعريف الذات يكون متبادلاً مع أفراد الجماعات في الثقافة الجمعية بينما هو مستقل وتلقائي في الثقافة الفردية.

٢) فيما يخص الأهداف؛ يتبنى الأفراد في الثقافة الجمعية أهدافا تنسجم مع أهداف الجماعات التي ينتمون إليها ingroups. وإذا تضاربت أهدافهم مع أهداف الجماعات يعطون الأولوية للأخيرة. ونقيض هذا ما يحدث في الثقافة الفردية؛ إذ يستخدم الفرد أهدافا لا تنسجم مع أفراد الجماعات التي ينتمي إليها، كما أنه يعطي الأولوية لأهدافه الخاصة إذا ما حصل تضارب أو تعارض بين أهدافه وأهداف الجماعة (أو الجماعات) التي ينتمي إليها.

٣) محدد السلوك الاجتماعي - بصورة عامة - في الثقافة الجمعية هو المعايير الاجتماعية وليس الاتجاهات، إذ يسلك الأفراد وفق ما هو متوقع منهم، ويتفق مع معايير الجماعة، وليس وفق ما يريدون أو يتمنون، بخلاف الثقافة الفردية التي يعطي الأفراد فيها الوزن الأكبر للاتجاهات وليس المعايير.

٤) في الثقافة الجمعية يعطي الأفراد الأولوية لحاجات الجماعة التي ينتمون إليها ولو كانت على حساب حاجاتهم ولا ينفصلون عنها حتى لو كانت هذه العلاقة مكلفة. أما في الثقافة الفردية؛ فإن الأفراد قد يتركون الجماعة أو يستمرون معها حسب الموازنة بين مدخلات ومخرجات هذه العلاقة (نظرية التبادل الاجتماعي). بمعنى أن الفرد يستمر في العلاقة طالما كان العائد أكثر من التكلفة (see Triandis, 1996).

ويبدو أنه يمكن اختصار الثقافة الجمعية مقابل الفردية في أنها «النحن» مقابل «الأنا». وهذا يعني - في الثقافة الجمعية - التنازل عن مشاعر الفرد وأهدافه ليقبى متناغما مع الجماعة التي ينتمي إليها، وأي تعبير عن الذات أو الخصوصية الفردية يتعارض مع ما تطلبه أو تتوقعه الجماعة يعتبر سلوكا غير ناضج، وأنانية، ويقابل بالنبذ الاجتماعي. والمفارقة هي أن التعبير عن مثل هذه الخصوصية الفردية وممارستها - في الثقافة الفردية - قيمة إيجابية ذات وزن كبير (Suh, Diener, Oishi, and Triandis, 1998).

وهذه الخصيصة الأساسية (النحن مقابل الأنا) لها نواتج أو ربما خصائص مصاحبة لعامل أكبر. ومن تلك الخصائص ظهور المجازة conformity في الثقافة الجمعية بشكل أكبر مقارنةً بالثقافة الفردية (e.g. Bond and Smith, 1996). كما يركز على الأفراد أكثر من المهمة في الثقافة الجمعية. ويظهر هذا في الخلط بين العمل والعلاقات، والذي لا يظهر تقريباً في الثقافة الفردية. ويلاحظ أن العلاقات الاجتماعية غير المتكافئة أكثر انتشاراً في الجمعية. إذ نجد "الهرمية" هي النمط الشائع (كما في علاقة الوالدين بالأبناء)، بينما تشيع "الأفقية" في الثقافة الفردية. وفي الجمعية نجد اعتمادية الأبناء وتدخل الآباء في خصوصياتهم كبيراً، على نقيض ما تتصف به الفردية من استقلال وخصوصية ومسؤولية. بل إن التنشئة الأسرية في الثقافة الجمعية تدعم المجازة والطاعة والاعتمادية بينما نجد الاستقلالية والاعتماد على الذات والإبداع والاستكشاف في الفردية. كما تمتاز العلاقات -في الثقافة الجمعية- بأنها أكثر استمرارية وغير طوعية، كما تظهر في جماعات كبيرة، بينما تناقض الثقافة الفردية ذلك.

من جانب آخر -كحتاج لطبيعة العلاقات الاجتماعية- يُلاحظ أن المساندة الاجتماعية social support أكبر في الثقافة الجمعية، كما أن الوحدة النفسية loneliness منتشرة في الثقافة الفردية، بل إن بعض المشاكل الاجتماعية تظهر في الفردية المتطرفة مثل النسب المرتفعة من الطلاق، وإساءة معاملة الأطفال، والجريمة، والانتحار (see Triandis et al., 1988). كذلك يمتد تأثير هذا العامل إلى الشعور بالرضا life satisfaction والذي يرتبط في المجتمع الفردي بالمشاعر، وفي المجتمع الجمعي بالمشاعر والمعايير الاجتماعية (Suh et al., 1998).

وما سلف -مع عرضه بإيجاز- قد يلقي الضوء على أهمية العوامل أو الأبعاد الثقافية في «تلون» أو «تشكل» المفاهيم النفسية عبر الثقافات. بمعنى آخر، إذا كانت أبعاد الشخصية تفسر التباينات والفروق الفردية؛ فإن هنالك أبعاداً ثقافية لكل ثقافة بحيث تميزها عن غيرها، وتمدنا بإطار تفسيري لتباين المتغيرات النفسية عبر الثقافات. ومن أهم تلك الأبعاد الثقافية: الجمعية والفردية. وهذا البعد (أو البعدان) ليس بسيطاً في

تركيبه أو تصوره، إذ ما زال تصوره بعداً واحداً ذا قطبين أو بعدين متمايزين أحد القضايا الجدلية. كما أن الجمعية / الفردية ليس بعداً أحادي المستوى فقط. فهناك مستويات أخرى تُقسّم - لدى بعض الباحثين - وفق السلطة والخيرية، وهي الجمعية / الفردية الأفقية horizontal والعمودية vertical؛ ولكل جمعية خصوصية معينة تتمحور حول فكرة (e.g., Triandis, 1996). كما أن هنالك مكوّنات على مستوى الفرد تقابل الجمعية والفردية؛ وهي المتمحور الجمعي allocentric، والمتمحور الشخصي idiocentric على الترتيب (e.g., Triandis, 2001). بالإضافة إلى ذلك فإن الجمعية والفردية ليست هي العوامل الثقافية الوحيدة فهناك - على سبيل المثال - فيما يخص الثقافة: التعقّد أو التعقيد complexity، والشدة أو الإحكام tightness (Triandis and Suh, 2002).

ويمكن لهذا العامل الثقافي (الجمعية / الفردية) أن يفسر عدداً من الظواهر المهمة في البيئة السعودية. وسناقش انعكاس المفهوم على البيئة من خلال تحليل كيفي وكمي لعدد من الدراسات المحلية، حسب الافتراضات التالية: (١)

- المجتمع السعودي أقرب على الجمعية منه إلى الفردية.
- هذه الجمعية تؤكد على أهمية الآخر: صورتي أمام الآخر وتقبله لي مهم في صورتي ومفهومي لذاتي وتقبلي لنفستي.
- تأثير الجمعية في المجتمع السعودي متباين بين الذكور والإناث.

الدراسات العاملة

من الافتراضات الأساسية في نظرية أيزنك أن عامل الانبساط يتكون من عدة عوامل أولية يأتي في مقدمتها وبشكل رئيسي: الاجتماعية والاندفاعية. ويرتبطان حسب كثير من الدراسات بمعامل ارتباط يصل إلى ٠,٤. وقد وجدت هذه الفرضية الكثير من

(١) قد يكون وضع هذه الاستنتاجات بعد استعراض الملاحظات والدراسات ومناقشتها هو المكان المناسب لكي تتسق مع منطق التوصل إليها. بالرغم من ذلك تم وضعها هنا لتيسر تصنيف واستعراض وبالتالي فهم الملاحظات والدراسات.

التحدي في بعض المجتمعات ومنها «المجتمع السعودي» من حيث اقتصار الانبساط على الاجتماعية فقط. وهذا «التخلخل» ذو الصبغة الثقافية في بنية الانبساط ينعكس على قياسه وعلى علاقته بعوامل أخرى: ترتبط الاجتماعية بالعصائية ارتباطاً سالباً؛ بينما يكون الارتباط موجبا بين العصائية والاندفاعية. وحين يكون المكونان متوازنين في أي مقياس للانبساط؛ فإن العلاقة تكون غير دالة مع العصائية. وهذا ما تفترضه نظرية أيزنك: استقلالية عاملي العصائية والانبساط. ويلاحظ في المجتمع السعودي اقتصار الانبساط على الاجتماعية في عدة «تجليات». ويتضح ذلك -على سبيل المثال- في إجابة عينة من طلبة الجامعة على سؤال مفتوح عن مظاهر الانبساط، إذ انحصرت إجاباتهم في مظاهر للاجتماعية دون الاندفاعية (الرويتع، ١٩٩٠).

وتتفق النتائج السالفة بشكل كبير مع ما وصلت إليه دراسة أخرى حول خصوصية المجتمع السعودي إذ وجد أن تحليل مقياس للانبساط ينتج عنه خروج أغلب بنود الاندفاعية من التحليل بحيث تسيطر بنود الاجتماعية على تمثيل الانبساط مع بعض بنود «الحوية» فقط (الرويتع، ٢٠٠٢ أ؛ الرويتع والشريف، ٢٠٠٢). وثمة دراسات توصلت إلى نفس النتائج عند تحليل قائمة أيزنك للشخصية: خروج بنود الاندفاعية من التحليل العاملي (فرج وحافظ، ١٩٩٠).

ماذا تعني هذه النتيجة؟ يبدو أن التفسير المقدم في هذا الشأن هو ما سبق في أحد الدراسات (الرويتع، ٢٠٠٢ أ) من أن توجه وصرامة المعايير الاجتماعية يصب في تقبل «الاجتماعية»، والتذبذب مع «الاندفاعية» وليس الرفض التام. بمعنى آخر؛ تُعزّز الاجتماعية بينما تعاقب الاندفاعية في الغالب أو لا تُعزّز مطلقاً. ولا يمكننا القول بأن الاندفاعية تعاقب في المجمل ولا يتم تقبلها، لأنه لو كان ذلك فستشبع بعامل الانبساط باتجاه سالب، لأن تباينها ليس مشتركاً سواء بالموجب أو السالب، وإنما تخرج من التحليل العاملي لا سيما من عامل الانبساط.

ويتفق هذا الاستنتاج مع ما نعرفه عن المجتمع السعودي الذي يُعلي من الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي بإيجابية، وكثرة العلاقات الاجتماعية، لاسيما العلاقات المميزة. من

جانب آخر لا تتقبل مظاهر الاندفاعية وتعتبرها «نقيصة» مثل التسرع في اتخاذ القرارات وكثرة الكلام talkative. بل إن البند الذي يقول "مقارنةً بغيرك، هل تتحدث كثيراً؟" يتجه نحو المرغوبة الاجتماعية: يجيب عنه الكل بـ "لا"، لأنه يُعدُّ سلوكاً غير مقبول وخرج بذلك من كونه يقيس الانبساط إلى قياس المرغوبة أو الجاذبية الاجتماعية أو ما يعرف بـ "الكذب" في بعض المقاييس. ويلاحظُ أن البند في نسخته الانجليزية في مقياس أيزنك المعدل (EPQ-R) لا يحتوي على جملة "مقارنةً بغيرك" بل يطرح التساؤل مباشرة (Are you a talkative person). وبالرغم من محاولة "التلطيف" من حدة البند حسبما يُدرَك في البيئة إلا أنه توجه نحو المرغوبة الاجتماعية مما يعني حساسية أفراد المجتمع لهذا السلوك وأنه غير مقبول: كثرة الحديث (انظر الرويتع والشريف، ٢٠٠٢). والجدير بالذكر أن هذا البند في بيئة عربية أخرى (مصر) كان له نفس السلوك من حيث التوجه نحو المرغوبة الاجتماعية (Abdel-Khalek & Eysenck, 1983). وما يجب ذكره هنا هو أن النتيجة السالفة (تشبُّع ذلك البند على عامل الكذب) يبرز فقط في حالة عينة الذكور. أما في حالة عينة الإناث السعوديات؛ فإن البند عاد إلى عامل الانبساط (الشريف والرويتع، ٢٠٠٧) كما في المقياس الأصلي الانجليزي الذي أعده أيزنك وأيزنك (١٩٨٥). وفي دراسة أخرى (الرويتع، ٢٠٠٧) على عينة سعودية من الذكور لبحث العوامل الخمسة الكبرى في الشخصية تم تغيير البند إلى "مقارنةً بغيري، أتكلم قليلاً". وقد عاد البند بهذه الصياغة إلى الدخول والتشبع على عامل الانبساط. ويلاحظ أن الفرق لم يكن سوى تغيير كلمة "كثيراً" إلى "قليلاً" فقط. لكن يبدو أن الجمع بين كلمتي "أحدث" و "كثيراً" يبعد البند عن الانبساط إلى المرغوبة الاجتماعية. والطريف أن كلمة "قليلاً" لا تؤدي إلى نفس النتيجة، وقد يعود ذلك إلى أن "قلّة التكلم" لا يحمل أي مرغوبة اجتماعية؛ كما أن عكس ذلك لا يعني بالضرورة "الثرثرة". وبعيداً عن التفصيل في الأسباب والتخمين وراء الإدراك الدقيق للكلمتين تظل القضية الأساسية في النقاش: الحساسية العالية لبعض السلوكيات. والنقطة التي لا تقل أهمية عن النتيجة

السالفة كون ما جرى محصوراً في عينة الذكور. وهنا يمكننا استنتاج أن تلك الحساسية محصورة في الذكور فقط. وقد يفسر البعض النتائج السالفة بأن المشكلة في خروج بنود الاندفاعية بشكل عام عائداً إلى الصياغة فقط. والرد هو أنه مع اختلاف الصياغات تظل بنود الاندفاعية خارج الانبساط. وإذا افترض أن المشكلة في الحساسية نحو صياغة بنود "الاندفاعية"؛ فهذا مؤشر كبير على أنها أكثر عرضة "للتلوث" بالمرغوبة الاجتماعية بسبب تقاطعها مع المعايير الاجتماعية.

وبشكل عام، يبدو -كما سلف- أنه لا يوجد تفسير لتلك الحساسية يوضح خروج الاندفاعية سوى: (١) عدم تقبلها أو عدم اتساقها مع المعايير الاجتماعية؛ (٢) قوة المعايير الاجتماعية، وبالتالي قوة المجازاة. وهذا كله يتسق مع مواصفات "الجمعية" التي سبق التطرق إليها. وهذه التنشئة والمعايير القوية في المجتمع السعودي - مع التباين بين الذكر والأنثى - تتطلب الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي بفعالية في مختلف المواقف واعتبارها معياراً للتقدير؛ بينما العكس - أو التذبذب - في حالة الاندفاعية. ولا تخطئ عين الملاحظ للمجتمع أن من معايير التقدير^(١): الكفاءة الاجتماعية، والضبط الذاتي، والتحفظ (أو ما يعرف بالعامية بكون الفرد «ثقیل» وليس «خفيف» أو «مطفوق»). وبروز هذه المرغوبة ليس نتاج ظروف قياسية آتية بل هي أعمق من ذلك؛ ففي جميع الدراسات التي أوردت سابقاً لم يُطلب «ذكر الاسم» ولا يوجد ظروف أخرى قد تساعد على التزييف أو ارتفاع المرغوبة الاجتماعية مثل: التقدم لمنصب أو وظيفة أو ماشابه ذلك (انظر: الرويتع، ٢٠٠٢ ب؛ (Paulhus, 1991: 1984). وقد حاولت بعض الدراسات الربط بين قوة المعايير الاجتماعية، والضبط، ومراقبة الذات، والصرامة الاجتماعية، والتحفظ بشكل عام وبين بعض اضطراب الخوف الاجتماعي (الرويتع، ٢٠٠٤ أ؛ Chaleby, 1987; Al-Khani. & Arafa., 1990).

ومظاهر الخصوصية - التي يمكن إيجازها في النقاط الثلاثة المذكورة سابقاً (الجمعية، وأهمية صورتي أمام الآخر، والفروق بين الجنسين) - تتجاوز "خروج الاندفاعية من الانبساط" إلى (١) من المصطنعات التي يمكن أن نجدها "الرجولة" أو "السنع".

مظاهر أكثر وضوحاً في تأكيد الاستنتاجات السالفة. فلو تناولنا فحص مقياس أيزنك المعدل للشخصية (Eysenck Personality Questionnaire-Revised: EPQ-R) على عيّنتي ذكور وإناث من طلاب الجامعة لرصدنا عدداً من النتائج التي تثير كثيراً من التساؤلات. وبالإضافة إلى خروج كثير من بنود الاندفاعية نجد قليلاً منها (بندين) يتجهان إلى العصابية، مع الفروق في التشبعات بين الذكور والإناث (الرويتع والشريف، ٢٠٠٢؛ الشريف والرويتع، ٢٠٠٧). والبندان هما:

- هل يقول الآخرون إنك تتصرف أحياناً بتعجل زائد؟
- في أغلب المواقف، هل تتخذ قراراتك بصورة مفاجئة وبدون تخطيط؟
- يتشبع البنندان على عامل العصابية لدى الذكور بمقدار (٣٧، ٠) للبندين؛ وعلى عامل العصابية لدى الإناث ولكن بتشبعات أقل: ٣٣، ٠؛ ٢٨، ٠. على الترتيب.
- أما في عامل الرغبة الاجتماعية أو الكذب فنجد تشبع بندين من البنود المخصصة للذهانية لدى عينة الذكور فقط وهما:
- هل تفضل أن تتصرف كما تريد بدلاً من أن تتصرف وفق الأنظمة والأعراف؟
- مقارنةً بمعظم الناس، هل أنت أكثر تساهلاً تجاه ما هو صواب وما هو خطأ؟
- هذا عدا تشبع بند: "مقارنةً بغيرك، هل تتكلم كثيراً؟" على الرغبة الاجتماعية لدى عينة الذكور فقط، وتشبعه على الانبساط لدى عينة الإناث. وقد أُشيرَ إلى هذه الملاحظة.
- أما أهم ملاحظة - والتي تدعم الجمعية والفروق بين الجنسين وبشكل كبير - فهي تشبع عامل الذهانية بعدة بنود (ثانية بنود) من بنود العصابية في حالة الذكور فقط. وفي الواقع إن عامل الذهانية - في عينة الذكور السعوديين - يتكون في أغلبه (يتجاوز النصف) من بنود كان من المفترض - في المقياس الأصلي الانجليزي - أن تقيس العصابية. ويوضح جدول (١) تلك البنود وقيم تشبعها على عامل الذهانية.

جدول (١)

بنود العصابية في المقياس الانجليزي التي تشبعت على عامل الذهانية في العينة السعودية.

م	البند	التشبع
١	في الغالب، هل تلوم نفسك على كثير من أمور ما كان ينبغي أن تعملها أو تقولها؟	٠, ٤٠
٢	في كثير من الأحيان، هل تحمل بشكل كبير هم أي عمل تفكر في القيام به؟	٠, ٣٨
٣	هل تجرح مشاعرك بسهولة عندما يجد الناس فيك أو في عملك عيباً أو خطأ؟	٠, ٣٧
٤	هل تقلق من أن أموراً فظيعة قد تحدث؟	٠, ٣٧
٥	هل تقلق وتكون مهموماً لمدة طويلة بعد موقف محرج؟	٠, ٣٥
٦	هل يضايقك في أغلب الأحيان الشعور بالذنب؟	٠, ٣٣
٧	هل تقلق على صحتك؟	٠, ٣٣
٨	هل تجرح مشاعرك بسهولة؟	٠, ٣٢

ما يجب التوقف عنده ويدعم طرحنا هو:

(١) تشبع بنود العصابية على عامل الذهانية.

(٢) تشبع البنود على الذهانية لم يكن في نفس اتجاهها عندما كانت بنوداً للعصابية، بل بالمقلوب.

(٣) بعض تلك البنود تدور حول القلق والحساسية من التقييم من قبل الآخر.

ما تعنيه هذه النقاط هو أن تلك البنود لا تميز ما بين الدرجة المرتفعة على العصابية والمنخفضة عليها بسبب أنه لا يوجد تباين على هذه البنود كمقاطع سلوكية. بمعنى آخر؛ من يميل إلى العصابية يجيب بنفس إجابة الذي يميل إلى القطب الآخر: السواء

أو الاتزان الانفعالي. وهذا يعني أن تلك البنود لا تفرق بين العصابي وغير العصابي، حيث أن الكل -على سبيل المثال- يقلق طويلاً بعد أي موقف محرج؛ ويُجرح مشاعره بسهولة إذا وجد الناس فيه أو في عمله عيباً أو خطأ؛ وغيرها من البنود الأخرى. وكأننا بهذا أمام عينة عصابية في المجمل. وهذا من الصعب تخيله من خلال مقياس وُضِعَ وفق نظرية تُلَاقِي القبول الواسع ويفترض رائدها «العالمية»: تكون نموذجاً Paradigm (Eysenck, 1983). كما أنه لا يتفق مع خصائص العصابية - وفق التراث السيكولوجي - من حساسية للنقد، ومبالغة في ردود الأفعال الانفعالية والمعرفية كما تمثله البنود.

والنقطة (٢): تصحيح البنود وتشبعها بالمقلوب على الذهانية) تكمل النقطة السابقة؛ إذ يجيب الكل على البنود تقريباً بـ "نعم" عدا شخص مرتفع الدرجة على الذهانية؛ فإنه يجب بـ "لا". بمعنى آخر؛ عندما يجيب الشخص على بند من البنود السالفة (مثل: هل تقلق وتكون مهموماً لمدة طويلة بعد موقف محرج؟ أو: هل تجرح مشاعرك بسهولة؟) فإن إجابته لا دخل لها في العصابية وإنما تعني أنه لا يميل للذهانية.

النقطة (٣): تدور البنود السالفة بشكل مباشر أو غير مباشر حول الحساسية من التقييم الاجتماعي) وتشير مع النقطتين السالفتين إلى مجتمع أقرب إلى الجمعية من حيث الصرامة في التنشئة ومراعاة الآداب والمعايير الدينية والأخلاقية لدرجة تمارس فيها رقابة وضبط خارجية وداخلية مما يقود إلى أن يلوم الفرد نفسه بشكل كبير على أي خطأ أو موقف محرج. بل إن من لا يستجيب على ذلك النحو يكون امتصاصه للتنشئة الاجتماعية بكل معاييرها ضعيفاً. وهذا هو أحد أهم أوصاف ذوي الدرجة المرتفعة على عامل الذهانية (انظر: الرويتع والشريف، ٢٠٠٢؛ الشريف والرويتع، ٢٠٠٧).

واستكمالاً للملاحظة؛ نجد أن بنود العصابية من حيث التصميم المبدئي، والذهانية من حيث التشبع العاملي - وبالتالي انتهاء - لم يكن لها نفس "السلوك" في حالة عينة الإناث، إذ تبقى متشعبة على عامل العصابية لتتفق في هذا مع فرضيات المقياس في نسخته الأصلية. وهذا يعني أن هناك فرقاً واضحاً بين أداء الذكور والإناث، وترجم أو يفسر كالتالي: المجتمع السعودي صارم مع الذكور بشكل عام لدرجة أن الكل يخشى النقد والوقوع في الخطأ مع الحساسية من النقد واللوم. ويستوي في هذا العصابي وغير العصابي، مما يجعل تلك المظاهر غير عصابية. بل إن من لا يخشى النقد واللوم وليس حساساً لذلك؛ يكون أكثر ميلاً إلى الذهانية. وهذا ينطبق على عينة الذكور فقط وليس الإناث. وهذا التفسير يتفق مع ما نعرفه عن المجتمع السعودي من صرامة في المعايير الأخلاقية والدينية، وعدم التسامح مع الأخطاء، والحرص على صورة الفرد؛ وبالتالي صورة الأسرة والقبيلة أمام الآخرين تجنباً للعار shame وأي شيء يطل السّمة. لذا تجد أن الفرد حريص على عدم الخطأ أو بمعنى أصح على أن لا يُعرف أنه من العائلة أو الأسرة الفلانية. وتجد ذلك حتى في أبجديات التوجيه والتنشئة حيث الإغلاء من نظرة الآخرين وصورتنا لديهم. لذا تزخر اللغة بمفردات تصور الآخر وتأثيره الرقابي والرادع (على سبيل المثال لا الحصر: لا تفضحنا؛ لا تفسّلنا؛ ماذا يقول الناس عنا). فنحن هنا أمام مجتمع "رقابي" و "ناقد" أكثر مما هو "محافظ" والفرق بينهما كبير. فالمجتمع يطارد - في حدود - أفرادَه نقداً ورقابةً يارسها الكل على الكل، مع التباين في مواقع المراقب والمراقب حسب ما يتطلبه أو يفرضه الموقف. وبلغة نفسية أكثر تحديداً؛ فإن ما يُعمل في التشئة والتفاعل الاجتماعي لا يعدو أن يتضمن رسائل متناقضة ويعتمد - بلغة سلوكية - على العقاب والتعزيز السلبي، مع عدم اتساقه عبر المواقف. وهذا ليس نوعاً من التخمين؛ بل هو ما تصرّح به نتائج التحليل العاملي على مفردات مقياس أيزنك، وما تؤكد المشاهدات الأخرى. لذا فالانتشار المفترض لاضطراب الخوف الاجتماعي يبدو واضحاً في سياق تصور مجتمع "رقابي" وصارم (Chaleby, 1987).

ولكن التساؤل المطروح فيما يخص هذا الاضطراب وانتشاره هو: كيف أثرت -إن وُجدت- هذه الصرامة والرقابية في انتشار اضطراب الخوف الاجتماعي؟

يبدو أن الإجابة لا تخرج عن أحد أمرين: (١) ارتفاع في أعراض الخوف الاجتماعي بسبب تلك التشئة والصرامة، والتي نجد تفسيرها في نظريات التعلم الاشرافية البافلووية والإجرائية والتعلم الاجتماعي. (٢) ارتفاع في معايير التفاعل الاجتماعي والوعي بالنفس. والفرق بين الاحتمالين كبير إذ هو اضطراب بالمعنى الأول، وظاهرة معايير وعدم تقبل للذات في الآخر. لذا فالعلاج مختلف في الحالتين: علاج نفسي سلوكي أو معرفي كما هو معروف في الأول؛ وتقبل للذات وتصحيح للمعايير وتوعية ثقافية في الثاني. وثمة قضايا تُطرح في هذا المجال؛ منها تباين التفاعل مع الثقافة بين الأفراد: لماذا لا ينتج عن الثقافة بشكل عام اضطراب خوف اجتماعي جماعي؟ ويبدو أن القضية هي تفاعل بين جانب ثقافي وجانب سمات أو عوامل شخصية، منها -على سبيل المثال- عامل الانبساط مقابل الانطواء، إذ يمتص من يميل إلى الأخير التشئة الاجتماعية أكثر ممن يميل إلى الانبساط (Eysenck, 1970).

مع كل المعطيات والاستنتاجات السابقة التي تقود إلى مواضيع وقضايا عديدة (مثل اضطراب الخوف الاجتماعي)؛ فإن كل ما سبق ملاحظته من تشبع بنود العصابية على عامل الذهانبة بكل تبعاته الاستنتاجية محصور في عينة الذكور فقط. ففي عينة الإناث -كما سبق- لا نجد نفس الظاهرة بل تنتظم البنود عامليا مع البنود الأخرى على عامل العصابية. وهذه النتيجة تعني أن الثقافة بصرامتها ومطالبها إنما تنحصر في الذكور دون الإناث. وقد نجد ما يفسر هذا في كون الأسرة ترى في "الذكر" المُمثل لها والامتداد لاسمها. أما الأنثى؛ فوظيفة الأسرة الحرص عليها في نطاق "الشرف" الذي يجب المحافظة عليه وتسليمه لاحقا للزوج. وبهذا فكأننا أمام نموذجين مختلفين يشكلان النظرة الثقافية العربية وليس فقط السعودية: نموذج خاص بالذكر يتلخص في أنه هو الأسرة وعنوانها؛ ونموذج للأنثى ويتمثل في

اعتبارها "أمانة" أو ربما "عبئاً"^(١). والنموذج الأول نموذج «البطل» أو على الأقل مشروع البطل؛ والثاني نموذج «الضعف». لذا كان الأول في الثقافة العربية المطلوب أما الثاني فهو المؤود. ولعل الوأد يأخذ صوراً عديدة منها المحاصرة المكانية خارج نطاق ما يمليه الشرع وكأننا أمام «ثقافته دينية» (صَبَّ الدين في قوالب دينية).

وهذا لا يمنع من أن تأخذ المحاصرة صورة أخرى للذكر حسبما رأينا في النقاش السالف، وكأن الذكر يأخذ سجنه معه متنقلاً به متمثلاً في القيود الصارمة على سلوكه وحركاته وسكناته. وبهذا فتحن أمام صورة تعارض -ولو جزئياً- ما هو منتشر من أنه يمارس قيوداً في التنشئة وقيوداً سلوكية (بلغة سلوكية: مقدار ما يعزز إيجابياً من سلوكيات أقل كثيراً مما يعزز سلبياً وعقابياً) مستمرة وصارمة على الأنثى مقارنة بالذكر. ومن خلال النتائج المستعرضة نجد أن الحال لا يتفق مع هذا التصور، فالقيود السلوكية أشد، وتوقعات الدور أعلى لدى الذكر مقارنة بالأنثى. بل إن أدوار الأنثى أو كُلت للذكر بدعوى المحافظة على الأولى^(٢). وقد يتضح هذا التفسير أكثر في الدراسات التالية.

دراسات أخرى:

لاختبار بعض نتائج الدراسات العملية والفرضيات العامة التي وُضعت؛ قمنا بعدد من الدراسات الاستطلاعية في المسارات المختلفة التي تم التطرق إليها -في الدراسات العملية- والتي تصب في الفرضية الأساسية: المجتمع السعودي أقرب إلى الجمعية منه للفردية.

الدراسة الأولى

تتطرق هذه الدراسة إلى اضطراب الخوف الاجتماعي. وهذا التناول سيكون مبنياً على أن العوامل الثقافية (الجمعية والفردية) تلعب دوراً كبيراً في اضطراب الخوف الاجتماعي.

(١) تزخر اللغة العربية في الفصحى والعامية بالشعر والأمثال والقصص الشعبية التي تبين دور الأنثى والذكر والأدوار المتوقعة منها وصورهما النمطية.

(٢) من الطريف أن يقال أن من يجب أن يطالب بحقوقه في هذه الحالة هو الرجل وليست المرأة.

والعامل الثقافي الفعال (الجمعية) يظهر في مراعاة المعايير الاجتماعية وتقدير الآخرين حيث ترتبط بتعريف الذات. وإذا كان هذا الافتراض صحيحاً ويفسر انتشار الخوف الاجتماعي؛ فإننا قد لا نجد علاقة دالة بين اضطراب الخوف الاجتماعي وعوامل الشخصية (العصائية والانبساط) بينما قد نجد علاقة دالة بين الاضطراب وبين الوعي بالذات self-conscious. لذا طُبِّقَ مقياس الخوف الاجتماعي (الرويتع، ٢٠٠٤ أ) ومقياس أيزنك للشخصية (الرويتع والشريف، ٢٠٠٢)؛ ومقياس الوعي بالذات (Scheier & Carver, 1985) والذي أعده على البيئة السعودية العنزي (Alanazi, 2001) ويتكون من ثلاثة أقسام: الوعي بالذات الخاصة (الذاتية أو الشخصية) Private، والعامة (أو الاجتماعية) Public، والقلق الاجتماعي. وينقسم مقياس الخوف الاجتماعي إلى ثلاثة أقسام: قسم يتطرق للجانب المعرفي من الاضطراب وهو الأفكار التي يرددها الفرد مثل: الكل يراقبني؛ وسوف أرتكب خطأ. القسم الآخر هو الاجتماعي ويتناول الأنشطة الاجتماعية التي يتجنبها الفرد مثل: أتجنب المناسبات الاجتماعية؛ أتجنب المطاعم. والقسم الأخير يركز على الأعراض والاستجابات الجسمية في المواقف المرهوبة مثل: أتعرق؛ أشعر أنه سيغمى علي. والدرجة الكلية في هذا المقياس تعبر عن حاصل مجموع الدرجات في تلك الأبعاد الفرعية (انظر: الرويتع، ٢٠٠٤ أ). وطُبِّقَت تلك المقاييس على عينة من طلبة جامعة الملك سعود بلغت ٨٥ طالبا. ويوضح جدول (٢) معاملات الارتباط بين تلك المقاييس.

بالنظر إلى المعاملات التي يحتويها الجدول المذكور؛ فإنه يمكن الخروج بعدد من الملاحظات:

(١) جميع معاملات الارتباط بين الخوف الاجتماعي والوعي بالذات العامة دالة.

(٢) معاملات الارتباط -بشكل عام- بين مقياس الخوف الاجتماعي والعصائية والانبساط دالة، وهذا يتفق مع طرح أيزنك إذ يرى أن المخاوف تقع في الجانب العصائي الانطوائي (e.g., Eysenck, 1970).

(٣) معاملات الارتباط بين الخوف الاجتماعي والوعي بالذات العامة دالة؛ أما الوعي بالذات الخاصة فجميع الأبعاد عدا البعد الاجتماعي.

(٤) ارتباط العصابية مع مقياسي الوعي بالذات.

وقد لا تتفق النتائج جزئياً مع ما تم افتراضه سابقاً من ارتباط العصابية والانبساط مع مقاييس الخوف الاجتماعي. لكن النتائج تتفق في ارتباط مقياسي الوعي بالذات بمقاييس الخوف الاجتماعي بشكل عام.

جدول (٢)

معاملات الارتباط بين مقاييس عوامل الشخصية والخوف الاجتماعي والوعي بالذات

المقياس	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨
العصابية ١								
الانبساط ٢	*, ١٢-							
الخوف الاجتماعي (معرفي) ٣	***, ٤٤	***, ١٧-						
الخوف الاجتماعي (اجتماعي) ٤	***, ٣٩	***, ٣٥-	***, ٥٢					
الخوف الاجتماعي (جسمي) ٥	***, ٤٢	*, ٠٦-	***, ٥١	***, ٥٥				
الخوف الاجتماعي (كلي) ٦	***, ٥	***, ٢١-	***, ٧٧	***, ٧٩	***, ٨٩			
الوعي بالذات (خاص) ٧	***, ٢٦	*, ٠٠٦-	***, ٢٨	*, ٠٧	*, ١٣	***, ١٩		
الوعي بالذات (عام) ٨	***, ١٩	*, ٠٤-	***, ٢٢	*, ١٤	***, ٢	***, ٢٣	***, ٥٥	
الوعي بالذات (قلق اجتماعي) ٩	***, ٣١	***, ٢٣-	***, ٤٦	***, ٦٢	***, ٤٨	***, ٦١	***, ٢١	***, ٢٤

* دالة عند مستوى ٠,٠٥

** دالة عند مستوى ٠,٠١

ما يمكن استنتاجه-اتفاقاً مع النتائج السالفة- هو أن البعد الثقافي يتضح في ارتباط مقاييس الخوف الاجتماعي ومقياس القلق الاجتماعي مع مقياسي الوعي بالذات. وكذلك علاقة مقياسي الوعي بالذات ببعضهما، مع الافتراض النظري بعدم ارتباطهما أو الاستقلالية كما تدعمه بعض الدراسات وتنفيه دراسات أخرى (Alanzi, 2001). وذلك التباين المشترك يقف خلفه متغير "الجمعية" الذي يربط بين كل تلك المتغيرات التي تشترك في "عدم الاستقلالية عن الجماعة". أما ارتباط مقاييس الخوف الاجتماعي بالعصبية والانبساط فهي نتيجة تتفق مع التراث (e.g., Eysenck, 1970) وتؤكد على أنه رغم أهمية العامل الثقافي فإن عوامل الشخصية تلعب دوراً إضافياً أو تفاعلياً معه. وهذا يفسر تباين أفراد المجتمع الواحد في متغير الخوف الاجتماعي أو الحساسية من التقييم.

ويمكن أن نطرح تصوراً معيناً يتجسد في أن العامل الثقافي النابع من الجمعية وهو "الحساسية للتقييم" أو الفكرة اللاعقلانية التي مفادها "أنا جيد طالما قال الآخر ذلك، والعكس صحيح" يرفع التنبه في المواقف الاجتماعية؛ مما يرفع من درجة الوعي بالنفس (الخاص والعام أو الاجتماعي) ويتفاعل هذا مع درجة الفرد على العصبية والانبساط، مما ينتج عنه مشاعر الخوف الاجتماعي. وهذه المشاعر تُشَرِّط كلاسيكياً لتكون المواقف الاجتماعية في ذاتها مثيرات شرطية تستثير استجابات الخوف الاجتماعي، وكأننا أمام دوائر مغلقة، وهي ظاهرة معروفة في هذا الاضطراب (DSM-IV-TR).

جدول (٣)

بعض فقرات مقياس الوعي بالذات الخاصة والعامة

العبارة
أفكر كثيراً حول نفسي.
في الغالب، أركز انتباهي على مشاعري الداخلية.
أحياناً أتوقف للتفكير في نفسي بدقة.
أهتم كثيراً بالطريقة التي أظهر بها أمام الآخرين.
عادةً أنشغل بترك انطباع جيد عني لدى الآخرين.
أهتم كثيراً بأفكار وتفكير الآخرين عني.
عادةً أركز انتباهي ووعيي على مظهري الخارجي.

وهذا لا يمنع من أن أحد العوامل التي تسهم في رفع الخوف الاجتماعي ارتفاع معايير الأداء الاجتماعي. بمعنى أن الفرد يحاسب نفسه على أي خطأ، أو ما يتصور أنه خطأ، أو لا يتفق مع المعايير الاجتماعية التي تتميز بالمثالية والحدة في التطبيق من واقع الجمعية. وهذا ما تقول به الجمعية من حيث أهمية الجماعة وضغوطها. ويتسق مع ما يورد من انعكاس أو تمثيل الفردية والجمعية في داخل الفرد: الذات الخاصة والعامة والجمعية (Triandis, 1989). ويبدو أن هذا تفسير مقبول لانتشار الخوف الاجتماعي، أو المبالغة في تشخيصه مع حاجته إلى الفحص. ولعل نظرة سريعة إلى بعض فقرات مقياس الوعي بالذات يلقي بعض الضوء على معاملات الارتباط بين مقياس الوعي بالذات والمقاييس الأخرى لاسيما الخوف الاجتماعي كما يوضحه جدول (٣).

الدراسة الثانية

في هذه الدراسة تم بحث مُكوّنِي الانبساط (الاجتماعية والاندفاعية). وتتلخص الدراسة في استقصاء مباشر حول استنتاجات الدراسات العاملية من حيث سيادة

مُكوّن الاجتماعية على عامل الانبساط مع ضعف مُكوّن الاندفاعية. وقد تم التفسير بناء على أن الاجتماعية مقبولة ومرغوبة جداً بينما تعتبر «الاندفاعية» سلوكاً غير مقبول ويتجسد ذلك في تعزز الأولى إيجابياً وتعزز الثانية عقابياً أو على الأقل يتباين التعزيز حولها. ويدعم هذا التفسير - كما سلف - الكثير من الأوصاف التي ترى أن من الصفات الاجتماعية الجيدة كون الشخص اجتماعياً مما يجلب له الكثير من النفع. وهذه خصيصة المجتمع الجمعي في أن العلاقات الاجتماعية تتجاوز الأنظمة والقوانين بما يعرف باللفاظ ومصطلحات عديد منها: الوساطة والمحسوبية. من جانب آخر نرى أن الاندفاعية - حسب الملاحظات والتفسير النظري - غير مقبولة ويوصف صاحبها بأنه «خفيف» أو «غير ثقيل» أو «مطفوق» وأحياناً «لا يستحي» وغيرها من الألفاظ المتعددة. وما يراد التأكيد منه في هذه الدراسة الاستطلاعية هو مدى صدق هذه التفسيرات. لذا تم الاستفسار عن هذا القضية من خلال سؤالين (انظر ملحق ١). السؤال الأول طلب تعريف للشخص الانبساطي. أما الشق الثاني فقد عرض عدداً من الأوصاف أو السلوكيات الاجتماعية والاندفاعية وفق ما هو موجود في مقاييس الانبساط. وطلب من أفراد العينة أن يصنفوا كلاً من تلك المظاهر وفق بُعد أو مُدرج يبدأ من الصفر (ويمثل عدم مرغوبة أو قبول ذلك السلوك أو الصفة اجتماعياً)؛ وينتهي برقم (١٠) حيث السلوك أو الصفة في أقصى درجات القبول أو المرغوبة (انظر ملحق ١)؛ ويحتل الرقم (٥) موقع الحيادية: الصفة عادية.

طبّق هذا الاستطلاع على عينة من طلاب وطالبات الجامعة: ٩٤ طالباً، و ٩٦ طالبة. وفُحصت معطيات السؤال الأول فحصاً كيفياً: تحليل كيفي تصنيفي حسب انتماؤها إلى أحد مُكوّنات الانبساط. أما الشق الثاني فقد تم تحليله كمياً.

الجدير بالذكر أن صفة «التمهل» تعني: أخذ الأمور ببساطة easygoing. وهي من صفات الانبساط. أما «المختلط» فإنها التعريف التي اشتملت على الاجتماعية والمرح واللامبالاة. ويلاحظ من الجدول (٤) أن المُكوّن الذي أُشير إليه بشكل كبير لدى

العينة ككل هو "الاجتماعية" سواء كان منفرداً أو مع مُكوّنات أخرى. والنتيجة البارزة -التي تُرصد بسهولة- هي عدم ورود أي صفة للاندفاعية. وهذا دليل واضح على أن الانبساطية تُدرّك في المجتمع على أنها: الاجتماعية والمرح والتمهل (أو أخذ الأمور ببساطة ويسر). ومن بين تلك المُكوّنات لا نرى الاندفاعية على الإطلاق ولو بإشارة بسيطة. وهذا قد يدل على أن الاندفاعية ليست أحد مُكوّنات الانبساط كما يبدو في المجتمع السعودي؛ أو هي على الأقل غير واضحة كالمُكوّنات الأخرى. وهذه النتيجة تتسق مع نتائج الدراسات العاملية التي دُكرت سابقاً من حيث خروج بنود الاندفاعية من التحليل العاملي وبقاء بنود الاجتماعية.

جدول (٤)
نتائج تحليل تعاريف الانبساط

نوعية الاستجابة	عينة الذكور	النسبة المئوية لعينة الذكور	عينة الإناث	النسبة المئوية لعينة الإناث	النسبة المئوية العينة الكلية
الاجتماعية	١٠	١٠,٦	١١	١١,٥	١١,١
المرح	٢٨	٢٩,٨	٢١	٢١,٩	٢٥,٨
التمهل	١٨	١٩,١	٢٠	٢٠,٨	٢٠
اللامبالاة	١	١,١	٢	٢,١	١,٦
مُحتنط	٨	٨,٥	٢٩	٣٠,٢	١٩,٥
لا ترتبط	٢٩	٣٠,٩	١٣	١٣,٥	٢٢,١
المجموع	٩٤		٩٦		

أما ما يخص الشق الآخر فيوضح جدول (٥) نتائج تصنيف عدد من الصفات الاجتماعية والاندفاعية من حيث المتوسطات والانحرافات المعيارية لتقديرات عيني الذكور والإناث ثم العينة الكلية. كما يوضح الجدول في العمود الأخير ترتيب

التقديرات تنازلياً. ويلاحظ أن السلوكيات قد عُرِضَتْ على العينة باستخدام ضمير المخاطب المناسب لكل عينة من حيث التذكير والتأنيث ولكن السلوكيات في الجدول (٥) والملحق قد عُرِضَتْ في صورة التذكير. بالإضافة إلى ذلك فقد تم تكرار أحد المقاطع السلوكية (اتخاذ القرارات بسرعة) كمحك لثبات الأداء. وبلغ معامل الارتباط بين البندين ٧٣، ٠. وهذا قد يعتبر مؤشراً جيداً على نوع من الاتساق الداخلي بين الاستجابات.

من الجدول (٥) يمكن رصد عدد من النتائج؛ منها أن ترتيب العناصر فيما يخص المقاطع السلوكية بين عيتي الذكور والإناث واحد. وقد حُسِبَ معامل ارتباط بين متوسطات التقديرات في العيتين وبلغ (٩٨، ٠). وهو بالطبع دال إحصائياً ومؤشر حاسم على أن التقديرات مستقرة بين الجنسين. والنتيجة الأهم - وهي هدف الدراسة الأساسي - أن المقاطع السلوكية التي تدور حول الاجتماعية والمرح قد أُعْطِيت أعلى متوسطات التقديرات بينما تحتل مقاطع الاندفاعية متوسطات التقديرات المنخفضة. وبالنظر إلى ملحق (١) نجد أن التقدير (٥) هو التقدير المقابل لكلمة الحيادية في الصفة: عادية. وهذا يعني أن أي صفة يقل متوسط تقديرها عن الرقم (٥)؛ تعتبر غير مقبولة.

وباختصار؛ يتفق هذا الشق (التقديرات) مع الشق الأول (التعريفات) إن لم يكن تكاملاً. ففي الجزء الأول اتضح أن الانبساط يُدْرَك أو يُتَصَوَّر من خلال «الاجتماعية والمرح» فقط. ولا يمدنا الجزء الأول بأي تفسير حاسم. ولكن الجزء الثاني قد يعطي مثل ذلك التفسير - ويتفق مع افتراضنا المطروح - من أن الاندفاعية سلوكٌ غير مرغوب، مما يجعلنا نفترض أنها تُعَزَّز سلبياً، بينما تُعَزَّز الاجتماعية إيجابياً. وهذا يتفق بشكل عام مع مقولة الخصوصية لاسيما اتجاه المجتمع نحو الجمعية أكثر من الفردية.

جدول (٥)

المتوسطات والانحرافات المعيارية لتقديرات سلوكيات انبساطية

السلوكيات	متوسط الذكور	الانحراف المعياري	متوسط الإناث	الانحراف المعياري	متوسط العينة الكلية	الانحراف المعياري	ترتيب التقديرات تنازليا
مرح وسيع صدر	٨,٢٦	٢,١١	٩,٢٨	١,٤٦	٨,٧٧	١,٨٨	١
كثير الكلام	٢,٨٦	٢,٠٦	٣,١٧	٢,٦٩	٣,٠٢	٢,٤	١٠
يتخذ القرارات بسرعة	٤,٣٦	٢,٣٧	٤,٥	٢,٨٧	٤,٤	٢,٦	٧
كثير الحركة «حَرَكَ»	٤,٤	٢,٥٣	٤,٤٦	٢,٤	٤,٤	٢,٥	٦
اجتماعي	٧,٨٦	٢,٦٧	٩,٢	١,٥٣	٨,٥٥	٢,٢٦	٢
يقول ما يرد لذهنه دون تفكير	٢,٨٦	٢,٥٦	٣,١١	٣,٠٣	٢,٩	٢,٨	١١
خفيف دم	٧,٤	٢,٥٧	٨,٩٩	٥,٩٤	٨,٢	٤,٦٦	٣
كثير الأصدقاء	٦,٧٥	٢,٥٤	٦,٩٧	٢,٣٢	٦,٩	٢,٤٣	٤
اتخاذ القرارات بسرعة	٤,٠٧	٢,٥٢	٣,٦٧	٢,٨٥	٣,٩	٢,٧	٨
الحديث أو الضحك بصوت عال	٢,٦٨	٢,٥٣	٢,٢٧	٢,٥٨	٢,٥	٢,٦	١٢
مزاح (كثير المزح)	٤,٧	٢,٦٤	٥,٦٢	٢,٨٧	٥,٢	٢,٨	٥
مندفع	٣,٩	٢,٥٥	٣,٠٦	٢,٢٧	٣,٥	٢,٤	٩

الدراسة الثالثة

الفرق الجوهرى بين المجتمع الجمعى والفردى هو تغليب أو ترجيح رغبة الجماعة على الفرد فى الأول والعكس فى الثانى. وهذا «الترجيح» يكون من قبل الجماعة التى ينتمى إليها الفرد وهى بشكل أساسى الأسرة (Triandis et al., 1988). وتتباين المجتمعات فى قربها من الجمعية أو الفردية. على سبيل المثال المجتمعات العربية أكثر جمعية من المجتمعات الأوربية؛ ولكنها تتباين فيما بينها. من ذلك أن المجتمع المصرى أكثر جمعية من المجتمع الأوروبى لكنه أكثر فردية من المجتمعات الخليجية (Darwish & Huber, 2003).

وفى سبيل فحص هذا المعطى المفترض تم طرح سؤال يتطرق إلى نفس النقطة على عينة من الطلبة الجامعيين الذكور المصريين^(١) (العدد: ١٤٢) والسعوديين (العدد: ١٥٧). ونص السؤال (انظر ملحق ٢) هو: عندما يوضع الفرد فى مجتمعنا فى موقف تتعارض فيه رغبته مع رغبة أسرته أو عائلته بشكل عام، هل يُغلب رغبته أم رغبة أسرته؟

يُغلب رغبته () يُغلب رغبة أسرته ()

ويوضح جدول (٦) نتائج هذا السؤال من حيث التكرارات والدلالة فى العينتين. مع بساطة السؤال صياغة واتجاهاً («مباشر» مقابل «ضمنى»)، فإن النتائج مثيرة للانتباه، وتتفق بشكل كامل مع النتيجة السالفتين: كون الفرد فى المجتمع الجمعى يُغلب رغبة الأسرة على رغبته؛ وأن المجتمع المصرى مقارنةً بالمجتمعات الخليجية أقل جمعية. فبيانات الجدول تشير إلى أن عدد من يُغلب رغبته - فى العينة المصرية - يفوق عدد من يُغلب رغبة أسرته. ولكن تلك الفروق - كما هو واضح من (كا^٢) - غير دالة، مما يشير إلى أن العدد بين الاتجاهين متساو. فيما يخص العينة السعودية؛ فإن النتائج تشير - بوضوح - إلى ترجيح رغبة الأسرة وبشكل دال.

(١) مع الشكر الجزيل للدكتور محمود غلاب لمساعدته فى التطبيق - فى مصر - على العينة المصرية.

جدول (٦)

العدد والنسب المئوية للعينات المصرية والسعودية في سؤال الترجيح

العينات	اتجاه الرغبة	العدد	النسبة المئوية	قيمة كا ^٢	الدلالة
المصرية	رغبة الفرد	٧٧	٥٤,٢	١,٠٠١	غير دالة
	رغبة الأسرة	٦٥	٤٥,٨		
السعودية	رغبة الفرد	٦٣	٤٠,١	٦,١٢	دالة (٠,٠١)
	رغبة الأسرة	٩٤	٥٩,٩		

وهذه النتيجة تتفق مع تصور أن المجتمع المصري يميل إلى الجمعية أكثر من المجتمعات الغربية والمؤشر تساوي التكرارات دلالةً بين رغبة الفرد ورغبة الأسرة. وهذا ما لا نجد في المجتمع الفردي الذي يُرجَّح الرغبة الفردية على رغبة الجماعة التي ينتمي إليها الفرد وإن كانت أسرته. كما تدعم تلك النتائج القول بأن المجتمع السعودي يميل إلى الجمعية بل وهو أكثر ميلاً حتى من مجتمع قريب منه ثقافياً: المجتمع المصري (see Darwish & Huber, 2003; Triandis et al., 1988).

ومع كل حدود هذه النتائج من حيث حجم العينة والأداة إلا أنها تمدنا بتصور حول المكوّن الأساسي في التمييز بين الجمعية والفردية: أن يكون الفرد نفسه أو أن يدوّب في الجماعة.

الدراسة الرابعة

في هذه الدراسة اختُبرت مقولة ميل المجتمع السعودي نحو الجمعية أكثر من الفردية مع أخذ الفروق بين الجنسين بعين الاعتبار. وطُبِّقَ لهذا الغرض استبانة تحتوي على ثلاثة أجزاء تتناول موضوع البحث من جوانب عدة. وقد بلغ عدد العينات (١٥٧) طالباً جامعياً و (١٢٤) طالبة جامعية. وسيتم تناول كل قسم على حدة مع استعراض نتائجه ومضامينها.

(١) من ضمن خصائص الثقافة الجمعية أن «السمعة» و«الدين» هي أقوى من الشعور بالذنب أو العار Shame والأنظمة أو القوانين في كف السلوك؛ بينما الثقافة الفردية العكس من ذلك (Triandis et al., 1988)، لذا استُخدم هذا كمحك من ضمن المحكات لاختبار مقولة الجمعية في المجتمع السعودي. وطلب من العينة أن ترتب عدداً من العوامل (السمعة، والقانون، والدين، والشعور بالذنب أو الخطأ: انظر ملحق ٢) حسب قوتها في المجتمع المحلي (السعودي) في ردع الفرد وكف سلوكه غير المرغوب. ويوضح جدول (٧) نتائج هذا الجزء.

جدول (٧)

بيانات عيتي الذكور والإناث في سؤال الكف

العينة	الدين	السمعة	القانون والأنظمة	الشعور بالذنب أو الخطأ
الذكور	المتوسط	١,٦٨	٢,١٨	٢,٨٥
	الانحراف المعياري	٠,٩٢	٠,٩	٠,٩٨
	الترتيب	١	٢	٣
الإناث	المتوسط	١,٩٦	١,٧٩	٢,٩١
	الانحراف المعياري	٠,٩٣	٠,٩٥	٠,٩٥
	الترتيب	٢	١	٣

لقراءة الجدول يجب الأخذ بعين الاعتبار أنه طلب من العينة ترتيب العوامل تنازلياً (من الأقوى إلى الأضعف). لذا؛ فكلما كان المتوسط منخفضاً كلما كان العامل قوياً في «الردع» حسب إجابات العينة. وبالنظر إلى الجدول يتضح أن أقل عاملين في «الردع»

لدى كل من الذكور والإناث هما: القوانين والأنظمة، ثم الشعور بالذنب أو الخطأ. وأن الأكثر رَدْعاً هما: الدين، والسمعة. ولكن يتباين ترتيب العاملين (الدين، والسمعة) بين عينة الذكور وعينة الإناث. ففي حالة الذكور نجد الدين ثم السمعة؛ أما الإناث فهي السمعة ثم الدين. وباستخدام (كا^٢) بين تكرارات العوامل لدى الجنسين أو اختبار (ت) لمتوسط تلك التكرارات؛ فإن الفروق دالة فقط في عاملي السمعة والدين فقط بين الجنسين (قيمة ت= ٥٦, ٢؛ ٥٧, ٣ للدين والسمعة على الترتيب؛ دالة عند مستوى دلالة ٠, ٠١).

على الرغم من كون هذه النتائج مباشرة؛ إلا أنها تمدنا بالكثير من الاستنتاجات. فبغض النظر عن آلية التفسير النفسية - سلوكية أو معرفية - (على سبيل المثال معززات أو مخطوطات)؛ فإن الاستنتاج المهم هنا أن مثل هذه النتائج تصب في مقولة ميل المجتمع نحو الجمعية أكثر حيث الدين والسمعة (see Triandis et al., 1988). وقد لا يعني هذا ضعف عاملي القوانين والشعور بالخطأ أو الذنب؛ ولكنه يعني ضعفها مقارنةً بالعاملين الآخرين. وبالنظر إلى العاملين نجد أن أحدهما داخلي (الدين) والآخر خارجي (السمعة). كذلك عاملاً "القوانين" و"الشعور بالخطأ"؛ فالأول خارجي والثاني داخلي. وبهذا فكان القوانين تأخذ مكان السمعة، والشعور بالخطأ يأخذ مكان الدين حين التحرك من الجمعية إلى الفردية.

ومن المعطيات المهمة الفروق في الترتيب بين الذكور والإناث. ففي عينة الإناث تأتي السمعة في المرتبة الأولى ثم الدين بعكس الذكور. وهذه النتيجة يفسرها بشكل ما تعريف أو تقديم الذات في حالة الأنثى؛ ومخطوطات الدور لها في المجتمع السعودي وهو ما تعكسه الثقافة مجسدة في القصص الشعبية والأمثال. وفي هذا الاستقصاء تم السؤال عن "مكان الميلاد" و"مكان النشأة". وقُسمت العينة قسمين: قسم المدينة وقسم القرية ميلاداً ونشأة. وكان معيار القرية أن تكون زراعية أو رعوية مع قلة عدد السكان. وفي هذا التقسيم لم نجد أية فروق دالة - لدى الذكور أو الإناث - وفق الولادة والنشأة في ترتيب العوامل الرادعة.

ومما يجب ملاحظته في هذه الدراسة أنها - وإن كانت تدعم مقولة ميل المجتمع نحو الجمعية أكثر من الفردية - قد تمت من خلال تصور "فردى غربى". ففصل "الشعور بالخطأ أو الذنب" فصل فردى لا جمعى إذ "الشعور بالذنب والخطأ" لا يتأتى إلا من خلال "الدين" وإن كان بعضه عائداً للعادات والتقاليد. ولكن ما هو عائداً إلى العادات والتقاليد يمكن أن يندرج تحت "السمعة". ومن هنا يمكننا رؤية أن "الثقافة" نفسها تفرض نفسها و"تتسلل" حتى إلى البحث العلمى حول "الثقافة". وهذا ما سيتم التطرق له لاحقاً حين مناقشة مفهوم "الجمعية والفردية" وتأثره ذاته ثقافياً، إذ لا يمكن فصل تفسير الفرضيات العلمية عن ثقافة المجتمع في العلوم الإنسانية حتى وإن كان موضوع البحث "الثقافة".

(٢) في هذا الجزء^(١) تم تناول الجمعية والفردية كما في الجزء الأول ولكن بطريقة مختلفة. عرضت عدة كلمات (انظر ملحق ٢) تعبر إما عن الجمعية (مثل: السمعة والمجاملة وانتقاد الآخرين)؛ أو الفردية (مثل: الحرية الشخصية والمسؤولية الفردية) وطلب من أفراد العينة ترتيب ترددها أو حصولها في المجتمع وفق مدرج يبدأ من «لا تتردد (أو لا تحصل) أبداً» وتُعطى صفراً؛ إلى «تتردد (أو تحصل) دائماً» وتعطى درجة (٤) والهدف من هذا السؤال هو قياس الاقتراب من الجمعية أو الفردية بناءً على افتراض أن ما يمثلها من كلمات أو سلوكيات سيعطى التقديرات العليا إذ أنها جزء من المفردات أو السلوكيات العامة.

يوضح جدول (٨) المتوسطات والانحرافات المعيارية للتقديرات، والفروق بين الذكور والإناث في متوسطات التقديرات. وأخيراً ترتيب التقديرات لدى كل من الذكور والإناث. وقد وُضع الترتيب في عمود واحد لأنه واحد في العيتين. وقد بلغ معامل الارتباط بين ترتيب التقديرات في العيتين (٩، ٠).

(١) هذا الجزء هو الثالث ترتيباً، ولكن تم تقديمه لارتباطه بالجزء الأول.

جدول (٨)

بيانات التقديرات والفروق بين الذكور والإناث

الترتيب	الدالة	قيمة ت	عينة الإناث		عينة الذكور		العبارة
			الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	
٤	٠,٠١	٤,٣٤	٠,٨٩	٣,٣٥	١,٠٦	٢,٨٣	السمعة
٦	غير دالة	١,٥٦	١,٠٢	٣,٠٢	٠,٩٤	٢,٨٤	المجاملة
٨	٠,٠١	٢,٧٣	١,٠٥	٢,٢٢	١,١٢	١,٨٦	الحرية الشخصية
١١	غير دالة	٠,٠٥	١,١٦	٢,٠٨	١,١٥	٢,٠٩	المسؤولية الفردية
٢	٠,٠١	٦,٦٤	٠,٨٣	٣,٤١	١,١٥	٢,٦	شكلي أمام الناس
١	٠,٠١	٣,٣	٠,٨١	٣,٥٢	١,١٣	٣,١١	كلام الناس
١٠	غير دالة	٠,٩٩	١,١٣	٢,١	١,١٤	١,٩٦	هذا ماأريده...
٥	٠,٠١	٣,٤٧	٠,٩٨	٣,٠٤	١,٠٧	٢,٦١	انتقاد الآخرين
٣	٠,٠١	٣,٠٤	٠,٩٧	٣,٣٦	١,١٣	٢,٩٧	العيب
١٢	غير دالة	١,٨٤	١,٢	٢,٠٢	١,٢٣	١,٧٦	طاعة الوالدين ولو..
٧	غير دالة	١,٩٢	١,١٦	٢,٢٦	١,١٨	٢,٥٣	احترام الأسرة ولو...
٩	٠,٠١	٢,٧	١,٣٢	٢,١٧	١,٣٣	١,٧٤	التدخل في شؤون...

ويمكن رصد عدة نتائج في الجدول السالف. من أهم تلك التقديرات العليا للعبارات المرتبطة بالجمعية؛ والدنيا للعبارات المرتبطة بالفردية بشكل كامل عدا البند الأخير. ويمكن عزو مجيء البند في الترتيب الأخير -مع كونه بنداً مرتبطاً بالجمعية- إلى الصياغة التي ربما تعارضت مع جانب ديني: عدم الطاعة في الخطأ. وهذا ما أورده بعض أفراد العينة مجسداً في قليل من التعليقات الطوعية لهم.

من النتائج كذلك ما نراه في العبارتين (كلام الناس)، و (العيب) من كونها الأعلى تقديراً إذا ما أخذ متوسط كل من العيتين معاً. كما نجد أن الفروق بين الجنسين لا تشمل كل العبارات مع أن ما يُركّز عليه هو التقديرات داخل كل مجموعة وهذا ما انعكس في اتفاق العيتين على ترتيب العبارات. وهذا الترتيب لا يحتاج إلى توضيح إذ يشير بوضوح إلى أن العبارات المرتبطة بالجمعية هي الأعلى تقديراً، مما يدعم وبشكل كبير - مقولة الجمعية. فعبارات «العيب» و «كلام الناس» و «السمعة» تأخذ التقديرات العليا بينما نجد عبارات مثل «المسؤولية الفردية» و «الحرية الشخصية» تقع ترتيباً في أدنى التقديرات، مما يشير إلى أنها الأقل حدوثاً أو تردداً في المجتمع، على العكس من عبارات مثل «العيب» أو «كلام الناس». وهذه النتائج تتفق مع نتائج الجزء الأول من هذه الدراسة (ترتيب عوامل الردع). كما نجد دعماً ثنائي الاتجاه ما بين قطبي مقولة أن المجارة أعلى في المجتمع الجمعي منه في الفردي.

وختاماً؛ فيما يخص متغير مكان الميلاد والنشأة؛ لم توجد فروق دالة وفق هذين المتغيرين في تقدير العبارات السالفة لدى الذكور والإناث سوى في عبارة (طاعة الوالدين ولو كانوا على خطأ) لدى الذكور؛ وعبارة (المجاملة) لدى الذكور. وهذا يعني أن من وُلد في قرية من الذكور أعطى تقديراً أعلى لعبارة (طاعة الوالدين...) ممن ولد في المدينة. وفيما يخص الإناث فقد أعطت المولودات في المدينة تقديراً أعلى لعبارة (المجاملة) مقارنةً بالإناث اللاتي ولدن في القرية.

جدول (٩)

الفروق في العبارات وفق مكان الميلاد

العينة	مكان الميلاد	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت	الدلالة
ذكور	المدينة	١٠٧	٢,٣٩	١,١٧	٢,٢	٠,٠٥
	القرية	٤٩	٢,٨٤	١,١٦		
إناث	المدينة	٩٩	٣,١٤	٠,٩٥	٢,٣	٠,٠٥
	القرية	٢٤	٢,٦٣	١,١٣		

ويوضح جدول (٩) المتوسطات الانحرافات المعيارية وقيمة (ت) والفروق. ونظراً للتفاوت في أعداد العينتين (من ولدوا في المدينة والقرية) سواء لدى الذكور أو الإناث فقد فحصت الفروق باستخدام اختبار لا بارامتري nonparametric وهو اختبار مان وتني (Mann-Whitney Test) وقد اتفق تماماً مع اختبار (ت) في كل النتائج.

وهذا يتفق مع التراث النفسي حول الجمعية والفردية: الجمعية أقوى في المجتمع الزراعي. وقد يفسر هذا ارتفاع تقدير العبارتين السالفتين؛ ولكن يدع كثيراً من الأسئلة حول العبارات الأخرى.

(٣) في هذه الدراسة كان الهدف الكشف عن الجمعية من خلال سؤال الترجيح بين رغبة الفرد أو الأسرة كما تم ذلك في الدراسة الثالثة على عينة سعودية وأخرى مصرية. وتقتصر هذه الدراسة على عينة سعودية من الذكور والإناث وتكون على مرحلتين.

في المرحلة الأولى تم طرح السؤال بنفس الصيغة على عينة الإناث، أما عينة الذكور فهي نفس العينة التي استُخدمت للمقارنة بالعينة المصرية. في المرحلة الثانية تم التطبيق على عينة من الإناث وعينة من الذكور مختلفين عن العينتين السالفتين. في هذه المرحلة تم طرح نفس السؤال ولكن بطريقة أخرى؛ إذ تم فصل الاختيارات لتكون قسمين (في حالة الرجل والمرأة: سؤال مزدوج) بدلاً من استخدام خيار واحد وهو الفرد كما يلي:

عندما يوضع الفرد (رجل أو امرأة) في مجتمعنا في موقف تتعارض فيه رغبته مع رغبة أسرته أو عائلته بشكل عام، هل يغلب رغبته أم رغبة أسرته؟

في حالة الرجل		في حالة المرأة	
يغلب رغبته ()	يغلب رغبة الأسرة ()	تغلب رغبته ()	تغلب رغبة الأسرة ()

ويوضح جدول (١٠؛ ١١) بيانات العينتين ونتائج السؤالين: الأعداد والتكرارات والنسب المئوية. يوضح الجدول (١٠) نتائج السؤال الأول الذي طُرح دون تحديد جنس الفرد. ويتضح أن العينتين تتفقان على تغليب رغبة الأسرة على رغبة الفرد وإن كان ذلك واضحاً أكثر لدى

الإناث، علماً أن (كا) للتكرارين دال إحصائياً. والنتيجة تدعم القول بميل المجتمع السعودي نحو الجمعية أكثر من الفردية حيث تغليب رغبة الأسرة على رغبة الفرد.

جدول (١٠)

العدد والنسب المئوية للذكور والإناث في سؤال الترتيب المفرد

العينة	اتجاه الرغبة	العدد	النسبة المئوية	قيمة كا ^٢	الدلالة
الإناث	رغبة الفرد	٣٥	٢٥,٢	٣٤,٢٥	دالة (٠,٠١)
	رغبة الأسرة	١٠٤	٧٤,٨		
الذكور	رغبة الفرد	٦٣	٤٠,١	٦,١٢	دالة (٠,٠١)
	رغبة الأسرة	٩٤	٥٩,٩		

جدول (١١)

العدد والنسب المئوية لعينتي الذكور والإناث في سؤال الترتيب المزدوج

العينة	العدد	نوعية الاختيار		العدد	النسبة المئوية
الذكور	١٣٩	في حالة الرجل	رغبته	٩٥	٦٨,٣
			رغبة الأسرة	٤٤	٣١,٧
		في حالة المرأة ^(*)	رغبتها	١٦	١٥,٨
			رغبة الأسرة	٨٥	٨٤,٢
الإناث	١٢٣	في حالة الرجل	رغبته	١١٦	٩٤,٣
			رغبة الأسرة	٧	٥,٧
		في حالة المرأة	رغبتها	١٠	٨,١
			رغبة الأسرة	١١٣	٩١,٩

* في هذا الاختيار أحجم ٣٨ من العينة عن الاستجابة؛ لذا فالعدد هو ١٠١.

من الجدولين السالفين يمكن رصد عدة نتائج. ومن أهمها:

(١) اتفاق عينة الذكور والإناث في السؤال المفرد على تغليب «رغبة الأسرة» مع ارتفاع ذلك في حالة الإناث ودلالة ذلك إحصائيا (علاقة دالة بين الجنس وتغليب رغبة الأسرة).

(٢) اختلاف النتائج في السؤال المزدوج -مقارنة بالسؤال الأول- حين التعبير عن كلمة «الفرد» في السؤال المفرد تفصيلا: الرجل والمرأة. واتفاق الذكور والإناث على أن الذكور يُغلبون رغباتهم، والعكس صحيح.

(٣) متوسط تكرارات الذكور في السؤال المزدوج (بين حالة الرجل والمرأة) يساوي تقريبا تكراراتهم في حالة السؤال المفرد. بينما لا نجد ذلك في عينة الإناث إذ الفرق كبير جدا. بمعنى أنه يوجد تباين كبير لدى الإناث بين السؤالين، بعكس عينة الذكور.

(٤) معامل الارتباط بين تقديرات الإناث للحالتين (الرجل والمرأة) في السؤال المزدوج (-٠,٤٤, دال عند مستوى ٠,٠١) بينما هو ضعيف وغير دال (-٠,٠٥, دال) في عينة الذكور. وهذا يعكس إجماع بين الإناث (من خلال التكرارات ومعامل الارتباط) على أن الرجل يغلب رغبته بينما المرأة تغلب عليها رغبة الأسرة. وهذا قد يعكس واقعا موضوعيا أو إدراكا ذاتيا أو هما معا. لكن ما يَري هو أن هذه النتيجة تدعم النقطة الثالثة في الطرح الحالي من حيث الفروق الكبيرة بين الذكور والإناث في جوانب عدة تشمل التصور العام عن دور الذكر والأنثى للأسرة (مخطوطة الدور) مما ينعكس على جوانب عديدة من أهمها التنشئة الأسرية والاجتماعية والتي يمكن أن تُلخّص في: الرجل عنوان الأسرة والمرأة مسؤولية. بالتالي فالرجل مطالب بأن يدعم العائلة وسمعتها نجاحاً ورجولة (دور إيجابي)؛ بينما المرأة غير مطلوبة بذلك سوى أن تصون نفسها مع تحمل الأسرة لذلك حتى يتقلل للزوج (دور سلبي). وهذا الوصف أو الطرح يتناول المتوسط العام والأغلب مع وجود حالات تخرج عن هذا كما في أي ظاهرة.

ويبدو أن ثمة عدداً كبيراً من المعطيات التي تحتاج إلى التوقف، وقد تثير من التساؤلات أكثر مما تقدمه من تفسيرات. من تلك إحصاء عدد من عينة الذكور (٣٨) عن الإجابة الجزء الخاص بالمرأة. وهذا قد يُفسَّر على أنه فهم خاطيء للسؤال، ولكن هذا التفسير لا تدعمه الأعداد الباقية الكبيرة من الذكور التي أجابت، ولا عينة الإناث التي لم تُحجم أي حالة منها عن الإجابة عن أي جزء. وقد يكون التفسير هو عدم وجود إجابة ما؛ مما يعكس أنه في حالة الذكور كانت الإجابة في تبايناتها تعكس فعالية عدد من العوامل، أما في حالة الإناث فهي حالة «جماعية» في عدم ترك أي فقرة واتجاه الإجابة. بالتالي فالتفسير السابق -في الفروق بين الجنسين في الأدوار وتوقعاتها وكل ما ينتج عن ذلك -هو المفترض أيضاً في ذلك الاحصاء في عينة الذكور.

والنتيجة التي نخلص إليها من هذه الدراسة هي الجمعية الواضحة من خلال «ذوبان» الفرد في إرادة الأسرة؛ والفروق الكبيرة بين الذكور والإناث في إدراك مدى الاستقلالية وكأننا أمام مجتمعين لا مجتمع واحد.

التطبيقات: البحثية والعلاجية

بما أن الجمعية والفردية بعد ثقافي؛ فإن تباين الدرجة عليه يعني تباين كثير من المفاهيم. لذا فكثير من المفاهيم التي "تستورد" من ثقافات فردية قد يكون من الخطأ علمياً أن نتناولها في مجتمع يميل إلى الجمعية بنفس التكوين، وربما يفرض التواجد منذ البداية. وتمدنا كثير من الدراسات بالأدلة على تباين أو تشكل "المفاهيم" النفسية وفق تباين المجتمع على بعد الجمعية/ الفردية. فعلى سبيل المثال يزيد في الثقافة الجمعية استخدام الآليات الخارجية (مثل الدين والسمعة)، بينما يزيد في الفردية استخدام آليات داخلية (مثل لوم الذات) (Triandis et al., 1988). كذلك وجد أن العزو attribution شخصي في الفردية بينما هو موقعي في الجمعية (Oyserman et al., 2002). وكما سلف؛ وجد أن التنشئة الأسرية تدعم الاعتمادية والطاعة في الجمعية، بينما تركز الفردية على

الاستقلالية والمسؤولية والاستكشاف. وهذا يتم من خلال علاقة هرمية في الثقافة الجماعية بينما هي أفقية في الثقافة الفردية (e.g., Triandis, 2001; Triandis et al., 1988; Traindis, McCusker, and Hui, 1990). أما المواقف والمعايير فهي محرك السلوك في الجماعية بينما هي الاتجاهات الشخصية في الفردية (Triandis et al., 1988; Triandis, 1989). كما نرى أن "الكذب" أكثر انتشاراً وقبولاً في الثقافة الجماعية - مقارنةً بالثقافة الفردية - ربما للمجازاة "وحفظ ماء الوجه" (e.g., Triandis, 2002; face-saving). وهذه ليست سوى أمثلة للتباينات المفهوماتية النفسية بين الثقافتين والذي يُختَصَر في أن تأثير الجماعية والفردية يمتد إلى مفاهيم كثيرة جداً في الجوانب المعرفية والانفعالية والدافعية والسلوك الاجتماعي والاتصال (see Triandis and Suh, 2002).

أما ما وُجِدَ في البيئة المحلية فيمتد تأثيره إلى جوانب عدة منها انفراد الاجتماعية بعيد الانبساط، والفروق في متغيرات عديدة بين الجنسين، وانعكاس ذلك على جوانب تطبيقية عديدة.

إن تناول عامل الانبساط - على سبيل المثال - من خلال أدوات تشتمل على الاجتماعية والاندفاعية؛ أو تجاوز الفروق بين الجنسين سيقود إلى نتائج غير دقيقة، والتعامل مع أي عينة بحثية دون مراعاة الحساسية الاجتماعية مجسدة في "المرغوبة الاجتماعية" social desirability قد يؤدي إلى نتائج "ملوثة" بعدد كبير من العوامل المتدخلة التي من أهمها متغير "ذكر الاسم" أثناء تطبيق الاستبيانات. وعلى سبيل المثال، وُجِدَ أن النتائج يمكن أن تتأثر مع ذكر الاسم (الرويتع، ٢٠٠٢ أ)؛ كما وُجِدَ بشكل دال إحصائياً أن الإناث يملن إلى عدم ذكر الاسم مقارنةً بالذكور (الرويتع والشريف، ٢٠٠٥). أما متغير "الدين" وتأثيره فهو مجال خصص للبحث العلمي لإظهار مدى أهميته ووزنه الكبير في الثقافة. على سبيل المثال؛ متغير وجهة الضبط في الصحة يُدرج "القدر" و "الصدقة" في عامل الضبط الخارجي في الصورة الأجنبية؛ ولكن في البيئة المحلية ينقسم هذا العامل إلى قسمين: تشعب بنود "القدر"؛ وبنود "الصدقة" على عاملين مختلفين (الرويتع، ٢٠٠٢ أ).

هذه فقط أمثلة على تباين بعض المتغيرات في البيئة المحلية عنها في منشأ تلك المتغيرات. وهذا التباين يطال بدرجة أو بأخرى بنية المتغيرات النظرية مما يجعلنا أمام بنية مختلفة تستدعي تغيير التصور والتناول في البحوث المحلية. لذا فإن أي مفاهيم -لا سيما ما يمس متغير الدين والفروق بين الجنسين ومخطوطات الأدوار- يجب فحصها دون التسليم بها قبل الدخول بها في بحوث يُبنى عليها استنتاجات غير صائبة بدرجة أو أخرى.

أما ما يتعلق بالعلاج النفسي فقد أشير (الرويتع، ٢٠٠٤ ب) إلى أن العلاقة الإرشادية -كالمكوّن الجوهرى في جميع التيارات العلاجية- يلحقها التباين و"التلون" الثقافي فيها يخص الجمعية والفردية. وكما سلف، فالعلاقة الأسرية تبنى على نوع من الهرمية حيث الأب هو الرئيس وبقية الأسرة هم المرؤوسون في المجتمع الجمعي؛ بينما هي ندية في المجتمع الفردي. ويبدو أن كثيراً من العلاقات والأدوار الاجتماعية تأخذ نفس البنية الهرمية في الثقافة الجمعية. لذا نلاحظ أنه في كثير من العلاقات الاجتماعية -في المجتمع الجمعي- يأخذ طرف ما دور "الرئيس" المسيطر القوي الذي ينتظر من الآخر (المرؤوس أو الضعيف) دور الطاعة والاستكانة. وهذا الأخير رئيس على أحدهم في موقف آخر وهكذا. وهذا ما يمكن ملاحظته في كثير من العلاقات على تباينها الكبير: المدرس مع الطالب؛ والموظف مع المواطن؛ وربما الطبيب مع المريض. وما نراه من احترام وتقدير مبالغ فيه لا يعدو أن يكون "احترام طاعة" وليس "احترام ندية" (انظر: الرويتع، ٢٠٠٤ ب). هذه العلاقة الهرمية تنتشر لتصل إلى كل العلاقات وتنعكس عليها لتتجاوز الانعكاس إلى وجود حقيقي. والعلاقة الإرشادية والعلاجية النفسية ليست بمعزل عن هذا. لذا نجد أن هذا التصور يُجسّد لدى طرفي العلاقة: المعالج أو المرشد والعميل. فالمرشد في المجتمع الجمعي -بشكل عام- لا يخرج عن نوعين: النوع غير المؤهل جيداً، والنوع المؤهل ولكن "المستلب". النوع الأول يتعامل مع العميل وفق مخطوطات

المجتمع الجمعية؛ حيث ينتظر الإذعان والطاعة من العميل سواء مباشرة مع بداية الإرشاد النفسي أو ما يثار مع سلوك العميل الإذعاني كفرد من ثقافة جمعية. النوع الثاني يطبق النظريات الغربية بمهارة فيركز -في العلاقة الإرشادية- على التقبل والتعاطف والاحترام غير المشروط ومسؤولية العميل واستقلاله، بينما قد يفسر هذا التعاطف من قبل العميل القادم من ثقافة جمعية على أنه "رفض". والمسؤولية والاستقلالية وتحمل جزء من واجبات العلاج والإرشاد قد يعتبر من قبل العميل على أنه "تهرب" المعالج من واجباته (المرجع السابق). وهذا التصور -فيما يبدو- عائد إلى أن العلاقة في المجتمع الجمعي تزخر بكثير من "العطف" والمساندة الاجتماعية، وعندما يظهر خلاف ذلك فقد يعتبر رفضاً. والعلاقة كذلك من خصائصها نقص الاستقلالية، لذا فالعميل قد ينتظر من المعالج الإسهام والمشاركة أكثر، كما أنه اعتمادي وليس استقلالياً وفق نظام الأسرة في المجتمع الجمعي. وهذه "الفجوة" بين التوقعات المتبادلة (لدى المرشد والعميل) تم ملاحظتها من قبل كثير من الباحثين، ليس فقط بين الثقافة الجمعية والفردية؛ بل يذهبون إلى مراعاتها في المجتمع الواحد المكوّن من ثقافات فرعية (كالمجتمع الأمريكي) (Sue and Sue, 1990). لذا فإن العميل في الثقافة الجمعية بحاجة إلى التعاطف والعطف، وبحاجة إلى أن يستقل بنفسه ويدرك العلاقة على أنها ندية قبل أن يبدأ معه في أسلوب "فردية" يفترض الاستقلالية سلفاً. هذا عدا بعض الملاحظات (العيادية) في أن العميل في الثقافة المحلية يستجيب للنقاش المبني على أمثلة التخيل والدين أكثر من النقاش المجرد. وهنالك بعض المؤشرات على إدراك الفرق في الاطروحات الغربية الفردية وواقع البيئة العربية فيما يتعلق بأساليب العلاج النفسي، واقتراح بعض التعديلات أو البدائل مع الاستفادة من الأساليب الغربية حين الحاجة. وهذا كله من واقع أن استخدام "الأساليب المستوردة" غير المفحوصة قد لا يجدي نفعا إن لم يكن تأثيره سلبياً (دويري، ٢٠٠٤).

الجمعية والفردية كمفاهيم غربية:

تعريف الشيء بنفسه؛ أو الاستدلال على الشيء بذاته تناقض منطقي. والجمعية والفردية مفاهيم «غربية». وهذه الثقافة الغربية تتميز بأنها «فردية». لذا فهي حتى في تناولها للثقافات الأخرى ستجعل من نفسها مرجعية معيارية مع أفضلية صريحة أو متضمنة. وإن كان الاستدلال على الخصوصية سيكون من خلال مفاهيم خارج الثقافة نفسها فهو ليس سوى استبدال داء ثقافي بداء آخر. إن أهم ما يميز الثقافة الغربية - التي تحاول أن تعولم نفسها - أنها في صميمها ثنائية التفكير. لذا فهي تضع المادي مقابل المثالي أو الروحي؛ والفرد مقابل المجتمع. والمادية - التي تعني إسقاط المرجعيات القيمة (العلمانية) - والفردية مفاهيم شاملة وجذرية التأثير تنعكس على كل مناحي الحياة. ويمكن بمراجعة بسيطة أن نجد أن هذا التصور المادي التجريبي والفردية الشاملة تنعكس على تصور «الإنسان» و«المجتمع». على سبيل المثال، المادية والليبرالية الغربية هي التي جعلت الجنسية المثلية أمراً مقبولا ولا وجود له في الأدلة الشخصية للأضطرابات النفسية. وهي التي شئت «الإنسان» وجعلته وحيدا محصورا بين المصنع والسوق وأماكن اللهو. والأمريطول في شرح تأثير التصور والتبني المادي ووصوله للعلوم الإنسانية التي لا يمكن فهم علم النفس الحالي «الغربي» إلا من خلال تصور كامل عن «تربة» المنشأ (انظر: المسيري، ٢٠٠٣). ووفق هذا البحث عن الأسس الفلسفية لثنائية «الجمعية والفردية»؛ نجد أنها متجذرة في صميم التفكير الغربي. على سبيل المثال، نجد أن من أهم أطروحات واحد من أبرز المدافعين عن الليبرالية الغربية (كارل بوبر) رؤيته أن «الفردية» مرادفاً للديموقراطية. ويُستدلُّ على ذلك باستعراض موسَّع لتحرك المجتمع الإغريقي (في أثينا مقابل أسبرطا) نحو الديموقراطية والانفتاح بانحسار القبيلة tribal الداعمة للانغلاق (Popper, 2003). وبشكل عام تراث الثنائية (الجمعية مقابل الفردية) واسع، ويمكن تتبعه لدى الكثير من المفكرين الغربيين وليس فقط كارل بوبر. وهذه الثنائية - من جانب آخر - غير واضحة في المجتمعات الشرقية

وبالتحديد الإسلامية، فنجد أن العلاقة بين الفرد والجماعة في جزء منها تكاملية؛ إذ ليست الجمعية في الإسلام خانقةً للمجال الذاتي للفرد، ولا الفردية فيه تعملقاً لرغبات الفرد وعبوديةً للذات، وإنما يتفاعل الفرد مع الجماعة وفق المعايير الشرعية التي تتلاقى فيها رغبة الفرد ورغبة الجماعة. ولا يمنع هذا من وجود التعارض والتداخل في بعض المناطق، وكأننا أمام النموذج الغربي، ولكن ثمة مناطق عديدة للتكامل وليس الصراع.

ومن هذا الاستعراض الموجز جداً نخلص إلى أن استخدام مفهوم «الجمعية والفردية» حسب المنظور الغربي عودةٌ من باب خلفي لاستيراد المفاهيم وإنكار الخصوصية. ومرة أخرى: هذا لا يعني عدم الاستفادة مما قد تضيفه هذه المفاهيم في فهم بعض الظاهر المجتمعية المحلية، وبالتالي فهي ليست ثنائية الاستيراد الكامل أو الرفض الكامل، بل الاستفادة من التقاطعات الإنسانية دون «الغرق» في الآخر.

وخلاصة القول أن الوصف بالقرب من الجمعية لا يحمل أي مؤشرات تقييمية أو معيارية كما في النموذج الغربي. والمراد هو الكشف عن خصوصية «الجمعية والفردية» نفسها. وما نسعى إليه ليس جمعيةً يذوب فيها الفرد، ولا فرديةً تحقق الجماعة ولا تتوقف حتى تلغي الفرد نفسه بدعوى المساواة وهي تسوية (المسيري، ٢٠٠٣).

الخلاصة:

من أهم وظائف الباحث النفسي والاجتماعي تشريح مجتمعه وتشخيص مكانه الضعف وأماكن وحجم وجوانب القوة. ولكن ما يُرى هو أن كثيراً من العمل البحثي تجاوز الاستعانة بأدوات البحث إلى استيراد المفاهيم، بل واستيراد المشاكل البحثية^(١). ولا ريب في أن الاستعانة بالمنتجات الحضارية المادية للآخر ضرورة على أن تكون

(١) «وفي اعتقادي أن العلوم الاجتماعية كفكر حي وليس كمناهج وصفية هي علوم المرحلة الحاضرة من تاريخ الفكر

العربي والثقافة العربية» (الأنصاري، ٢٠٠٠، ص ٩١).

مرحلة وليست كل المراحل؛ فكيف باستيراد «الثقافة». وفحص الثقافة وتشخيصها جزء من عملية التنمية في كل المجالات لغرض رسم التحرك ومساراته، ومعرفة «عقباته» و«سهوله».

من هذا فإن البحث الحالي محاولة لوصف بعض الظواهر التي نرى أن مفهوم «الجمعية/ الفردية» قد يسهم في فهمها. وقد خلصنا في هذا إلى أن:

(١) المجتمع السعودي أقرب إلى الجمعية منه إلى الفردية.

(٢) هذه الجمعية تركز على صورة الفرد لدى الآخر. وهذا كأنه -فيما يبدو- امتداد لشخصية «الصحراء» التي تركز على «السمعة» و«الشرف».

(٣) هنالك فروق بين الذكور والإناث في التنشئة والتوقعات أو مخططات الدور.

فيما يبدو أن تلك النقاط تتسق مع ما نعلمه من واقع الشخصية العربية. هذه الشخصية التي يلعب فيها عاملاً «الصحراء» و«القبيلة» دوراً كبيراً^(١). والصحراء لا تعني مكاناً جغرافياً بل مجموعة كبيرة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والتي - وإن ابتعدت عنها بعض المجتمعات العربية الآن - تظل حاضرة في ثقافتهم. ويبدو أنه من الصعب تخيل القبيلة دون صحراء، وهذا ما يجعل القبيلة تضعف مع مجتمع المدينة الذي انتشر في المجتمع السعودي على حساب «الصحراء» و«المزرعة». وهذا ما لاحظته بن خلدون وعبر عنه بمصطلح «العصية» التي لا تعني سوى «الجمعية». يقول ابن خلدون في علاقة «العصية» أو «الجمعية» بالصحراء؛ أو علاقة الأخيرة بالقبيلة كممثل ومجسد للعصية «ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم وفسدت الأنساب بالجملة، وفقدت ثمرتها من العصية فاطرحت، ثم تلاشت القبائل ودُثرت فدثرت العصية بدثورها وبقي الحال ذلك في البدو كما كان» (ابن خلدون، بدون/ ٢٠٠٤، ص ١٣٠).

(١) لدرجة يذهب فيها الانصاري إلى حد اعتبارها الخصوصية التي تميز المجتمع العربي. ويعزو لها (وليس للتفسيرات المستوردة مثل الصراع الطبقي) مع الغزو «الرعي» كثير من الأحداث التاريخية والمظاهر الاجتماعية والنفسية والثقافية وبالتالي الحضارية (أنظر: الانصاري، ٢٠٠٠).

وابن خلدون يرى أن سكنى البدو لا تكون إلا للقبائل أهل العصية؛ إذ تعمل العصية على الحماية التي يضطلع بها الحاكم في المدينة. لذا فإن «العصية» (الجمعية) تضعف في مجتمع الحضر. وإذا نظرنا إلى المجتمع السعودي لوجدنا ذلك ماثلاً عبر العقود الماضية من انتشار مجتمع «الحضر» أو «المدينة» وتلاشٍ للبداءة، وبالتالي ضعف للعصية أو الجمعية مقارنةً بها مضي فقط.

والتوقف عند العاملين السابقين خطأ كبير؛ إذ لا تزال المنظومة ناقصةً عامل آخر لا يقل أهمية إن لم يكن متجاوزاً. وهذا العامل ليس سوى «الدين». والمجتمع العربي يمكن تصويره قبل الاسلام بين «الصحراء» و«القبيلة»؛ أما بعد الاسلام فقد تغيرت المعادلة بدخول هذا العامل المؤثر. وقد دخل عامل «النفط» منذ عدة عقود إلى المعادلة بتفاعل معقد مع العناصر الأخرى. هذا العامل الذي جعل الجزيرة العربية -ربما لأول مرة- جاذبة بدلاً من أن تكون طاردة (الموجات البشرية المهاجرة)؛ وأقل انغلاقاً بعد أن كانت منغلقة تماماً من جميع الجوانب. وانعكس ذلك على كل جوانب الثقافة لاسيما المادية (خلال الأربعة عقود السالفة مع تدفق أموال النفط) إذ نجد ذلك في الملبس والمأكل والذي اختفت معه أو تكاد تندثر عناصر ثقافية محلية. ولم تسلم اللغة من ذلك؛ فقد خرجت لهجات هجينة صب فيها كل التمازج من القرية والمدينة والمجموعات الوافدة. وامتد التغير ليصل إلى عادات الأكل واللبس والذوق العام، ولينعكس على التفاعل الاجتماعي والظواهر الاجتماعية وكثير من المتغيرات النفسية. ويكفي أن نرى ظهوراً لأمراض جسمية -ربما لأول مرة- (السمنة والسكري بدلاً من سوء التغذية وفقرها) في الجزيرة العربية. بل طال التغير حتى مواصفات الجمال العربية التي كانت ترى -على سبيل المثال- «الامتلاء» جمالاً (كانت توصف المرأة الجميلة بأنها: خرساء الأساور) أصبحت النحافة (النموذج الغربي) هي المعيار.

ثمة أمثلة كثيرة على التغيرات التي أفرزها عامل النفط الذي لولا «كوابح» الدين لأدى إلى تأثير كبير على الهوية. لكن أخطر ما أفرزه متغير «النفط» أنه أحدث قطيعة

مع ثوابت المكان: الصحراء وواحاتها. وسيترك هذا المتغير في التحليل لحاجته الملحة لدراسات مستفيضة مع أنه متغير طارئ في البيئة المحلية.

ويمكن أن تتضح النتائج الثلاثة (الجمعية، والصورة لدى الآخر، والفروق بين الجنسين) من خلال مثلث: الصحراء والقبيلة والدين. وكثير من الظواهر الاجتماعية وانعكاساتها النفسية تتضح من خلال تلك العناصر وتجاذباتها، وربما قوة أحد العناصر على حساب الآخر. وهذا في مجمله تفسير يحتاج إلى الكثير من التأمل. ولكن بأخذه في سياق نتائج البحث الحالي نجد القبيلة وتماسكها الذي تمليه طبيعة الصراع الصحراوي -بظروفه الجغرافية والاقتصادية القاسية- مستنداً إلى قيم دينية في تجاذب غريب: قوة الصحراء والقبيلة، فيثقفن الدين (ويبدو ذلك في مراحل الانحطاط والانغلاق)، أو تعلو القيم الدينية فتَهْدَب قيم القبيلة والصحراء أو ينتج -كمحصلة وخيار ثالث- توليفة تصالحية. ومثال آخر نجده في ما تدفعه الصحراء من حاجة وفاقية ليشرعن «التهب» و«السلب» ويدعى «بطولة»؛ ويحرمه الدين ولا يعود إلا في حالة ضعفه، أو قوة الدولة (مجتمع المدينة) وضعف القبيلة.

وربما نجد في الصحراء تفسيراً لطبيعة التفكير الثنائي الجامد (سواء وأرض؛ جفاف ومطر؛ ضيف أو عدو؛ معي أو ضدي) الذي نلمسه حتى وإن ضعف تأثير الصحراء لكنه مستمر ثقافياً. فحتى «الشك» الذي كان يؤدي وظيفة حماية (ما بين الضيف والعدو) مازال مستمراً في توريث ثقافي مع زوال أو ضعف «الصحراء». وهذا الاستمرار نجده مع عامل «الشرف» في مدى حماية و«تحصين» المباني التي لا تتناسب مع نسبة الجريمة المتدنية لاسيما إذا أخذ في المقارنة نوعية المبنى وبساطتها في وسائل الحماية في بلدان ترتفع فيها نسبة الجريمة عن المجتمع المحلي.

وتنعكس قيم الصحراء والقبيلة على الفروق بين الجنسين. فالرجل عنوان الأسرة ومكمن القوة، والمرأة شرفها ونقطة ضعفها. لذا فالرجل مطالب بأن يكون «فارساً»

والمرأة مطالبة بأن تكون «عفيفة». وهذا لا يعني أن السمعة تهتم المرأة فقط بل تهتم الرجل (كما لاحظنا من ترتيب عوامل الردع) ولكنه للمرأة أكثر أهمية. وهي كذلك لأن قابلية المرأة للانجراح في هذا الجانب أسرع وغير قابلة للمعالجة أو أشمل، بحيث تصل إلى كافة الأسرة وليس الشخص نفسه، مما جعل السمعة تأتي في المقام الأول لدى الإناث. وهذه لا يمكن فهمه فقط من خلال منظور بيولوجي بل يتعداه إلى توليفة معقدة من معاني ثقافية يملئها مثلث: الصحراء والقبيلة والدين. هذه التوليفة التي تفرض «المحافظة» و/أو «النقد».

وباختصار فإن وحدة التحليل في الصحراء ليس «الفرد» بل «القبيلة». فالفخر والمجد أو الخزي والعار إنما هو للقبيلة وليس للفرد. وهذا هو جوهر الجمعية: «نحن» مقابل «أنا». وكل ما سبق لا يعدو أن يكون محاولة تفسيره قد تجد ما يدعمها أو يدحضها. وهي بهذا بحاجة إلى مزيد من البحث باستخدام أدوات وعينات مختلفة ومن زوايا متعددة.

والخلاصة - التي تركز على النتائج بعيداً عن التأويلات التفسيرية - هي أنه يجب فحص المفاهيم المستوردة إلى البيئة المحلية وعدم التعامل معها على أنها سليمة منهجياً إذا ما أردنا الصرامة والعلمية والنتائج الدقيقة التي هي صميم العلم. ويأتي في مقدمة ذلك «الجمعية والفردية» مع عدم إغفال خصوصية هذا المفهوم نفسه. وأخيراً يأتي «الدين» كأحد أهم المتغيرات التي لا يمكن إغفالها اجتماعياً ونفسياً واقتصادياً وسياسياً. ومن المؤسف أن نتظر الآخر (الباحث الغربي) ليقول لنا إنه عامل مهم لكي نراه. وقد نراه بعينيه كذلك!!

المراجع

- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (بدون / ٢٠٠٤). مقدمة ابن خلدون. ضبط وشرح محمد الإسكندراني. بيروت: دار الكتاب العربي
- الانصاري، محمد جابر (٢٠٠٠). العرب والسياسة: أين الخلل. جذور العطل العميق. بيروت: دار الساقى. الطبعة الثانية.
- دويري، مروان (٢٠٠٤). إعادة النظر في علم النفس: نقد نظريات علم النفس من المنظار بين- الحضاري. دراسات نفسية، ١٤ (١)، ٣-٢٩.
- الرويتع، عبد الله و الشريف، حمود (٢٠٠٢). صورة سعودية لمقياس أيزنك المعدل للشخصية (EPQ-R). بحث مقدم للقاء السنوي العاشر للجمعية السعودية للعلوم النفسية والتربوية. مجلد المؤتمر: ٤٦٨-٥٠٨.
- الرويتع، عبدالله صالح (١٩٩٠). بعدا العصائية والانبساط لدى عينة سعودية من ثلاث فئات عمرية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية التربية، الرياض.
- الرويتع، عبدالله صالح (٢٠٠٢ أ). الخصوصية الثقافية في المجتمع السعودي: بعد الانبساط ووجهة الضبط في الصحة. رسالة التربية وعلم النفس، ١٨، ٢٠٧-٢٣١.
- الرويتع، عبدالله صالح (٢٠٠٢ ب). عوامل أسلوب الاستجابة المرغوبة اجتماعيا. مجلة الآداب، ٤٣، ١٨٣-٢١٤.
- الرويتع، عبدالله صالح (٢٠٠٤ أ). مقياس ثلاثي الأبعاد للخوف الاجتماعي. رسالة التربية وعلم النفس، ٢٤، ٩-٤٣.
- الرويتع، عبدالله صالح (٢٠٠٤ ب). تبين العلاقة الإرشادية بين الثقافة الجمعية والفردية. بحث مقدم للمؤتمر السنوي الحادي عشر بجامعة عين شمس. مجلد المؤتمر: ٩٤٧-٩٥٨.

- الرويتع، عبدالله صالح (٢٠٠٧). إعداد مقياس للعوامل الخمسة الكبرى في الشخصية: دراسة على عينة سعودية . دراسات عربية في علم النفس. ٦ (٢)، ١-٣٦.
- الرويتع، عبدالله صالح والشريف، حمود هزاع (٢٠٠٥). الشخصية وعلاقتها ببعض المتغيرات. دراسات، ٥٠، ٥٨٣-٦٠٧.
- الشريف، حمود، الرويتع، عبدالله (٢٠٠٧). مقياس أيزنك المعدل (EPQ-R): النسخة السعودية لعينة الإناث. رسالة التربية وعلم النفس. ٢٩، ١٠٩-١٢٥.
- فرج، صفوت وخيري، حافظ (١٩٨٦). الخصوصية الحضارية والتصنيف العاملي للانبساط والعصابية: دراسة عاملية على عينة سعودية. القاهرة: آتون.
- المسيري، عبد الوهاب (٢٠٠٣) الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان. دمشق: دار الفكر. الطبعة الثانية.

- Abdel-Khalek, A. M., and Eysenck, S. B. G. (1983). A cross-cultural study of personality: Egypt and England. In A. M. Abdel-Khalek (Ed.) *Research in Behaviour and Personality*, Alexandria. Dar al-Maaref, 3, 215-226.

- Al-Anazi, F. (2002). The revised self-consciousness scale: an assessment of factor structure, reliability, and gender differences in Saudi Arabia. *Social Behavior and Personality*, 29, 763-776

- Al-Khani, M. A., and Arafa, M. A. (1990). *Social phobia in Saudi Patients: A preliminary assessment of prevalence and demographic characteristics. Annals of Saudi Medicine*, 10, 615-619.
- Bond, R., and Smith, P. B. (1996). *Cultural and conformity: A meta-analysis of studies using Asch's (1952b, 1956) line judgment task. Psychological Bulletin*, 119, 111-137.
- Chaleby, K. (1987). *Social phobia in Saudis. Social Psychiatry*, 22, 167-170.
- Darwish, A. E., and Huber, G. L. (2003). *Individualism vs. collectivism in different cultures: A cross-cultural study. Intercultural Education*, 14, 475-500.
- Eysenck, H. J. (1970). *The structure of human personality. London: Methuen, 3rd ed.*
- Eysenck, H. J. (1983). *Is there a paradigm in personality research? Journal of Research in Personality*. 17, 309-397.
- Eysenck, S. B., Eysenck, H. J. and Barrett, P. (1985). *A revised version of the psychoticism scale. Personality and Individual Differences*, 6, 21-29.
- Oyserman, D., Coon, H. M. and Kemmelmeier, M. (2002). *Rethinking individualism and collectivism: Evaluation of theoretical assumptions and meta-analyses. Psychological Bulletin*. 128, 3-72.
- Paulhus, D. L. (1984). *Two component models of socially desirable responding. Journal of Personality and Social Psychology*, 46: 598-609.

- Paulhus, D. L. (1991). *Measurement and control of response bias*. (In J. P. Roberson, P. R. Shaver & L. S. Wrightsman (Eds.), *Measures of personality and social psychological attitudes* (pp. 17-59). San Diego, CA: Academic Press).
- Popper, Karl. (2005) *The open society and its enemies* (volume one). London: Routledge, 4th ed.
- Scheier, M. F. & Craver, C. S. (1985). *The self-consciousness scale: a revised version for use with general population*. *Journal of Applied Social Psychology*, 15, 687-699.
- Sue, D. W., and Sue, D. (1990). *Counseling the culturally different* (2nd ed.). New York: Wiley.
- Suh, E., Diener, E., Oishi, S., and Triandis, H. C. (1998). *The shifting basis of life satisfaction judgments across cultures: Emotions versus norms*. *Journal of Cross-Cultural Psychology*, 74, 482-493.
- Suh, E., Diener, E., Oishi, S., and Triandis, H. C. (1998). *The shifting basis of life satisfaction judgments across cultures: Emotions versus norms*. *Journal of Cross-Cultural Psychology*, 74, 482-493.
- Triandis, H. C., Bontempo, R., Viareal, M. J., Asai, M., and Lucca, N. (1988). *Individualism and collectivism: cross-cultural perspectives on self-ingroup relationships*. *Journal of Personality and Social Psychology*, 54, 323-338.
- Triandis, H. C. (1989). *The self and social behavior in differing cultural contexts*. *Psychological Review*, 96, 506-520.
- Triandis, H. C. (1996). *The psychological measurement of cultural syndromes*. *American Psychologist*, 51, 407-415.

- Triandis. H. C. (2001). *Individualism-collectivism and personality. Journal of Personality*, 69, 907-924.
- Triandis. H. C. and Suh, E. M. (2002). *Cultural influences on personality. Annual Review of Psychology*, 53, 133-160.
- Triandis. H. C., McCusker, C., and Hui, C. H. (1990). *Multimethod probes of individualism and collectivism. Journal of Personality and Social Psychology*, 59, 1006-1020.

الملحق الأول

الشخص الانبساطي هو:

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

من وجهة نظرك ضع تقديراً للصفات التالية حسب ما يقابلها من تدرج

التقدير											الصفة		
غير مرغوب بالمرّة												عادية	مرغوبة جداً
٠	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠			
											مرح وسيع صدر		
											كثير الكلام		
											يتخذ قراراته بسرعة		
											كثير الحركة «حرك»		
											اجتماعي		
											يقول ما يريد لذهنه دون تفكير		
											خفيف دم		
											كثير الأصدقاء		
											إنخاذ القرارات بسرعة		
											الحديث أو الضحك بصوت عال		
											مزاح (كثير المزح)		
											مندفع		

الملحق الثاني

العمر:

مكان الميلاد:

مكان النشأة (المدينة التي قضيت طفولتك ومراهقتك بها):

((الرجاء الإجابة عن التالي))

أولاً) بشكل عام عندما يريد أحد (في مجتمعنا) أن يعمل عملاً غير جيد هل يردعه:

- السمعة (سمعة الفرد أو الأسرة أو القبيلة)
- القانون والأنظمة
- الدين
- الشعور بالذنب أو الخطأ

رتب هذه العوامل (حسب قوتها) في ردع الآخرين من وجهة نظرك.

- ١)
- ٢)
- ٣)
- ٤)

ثانياً) عندما يوضع الفرد في مجتمعنا في موقف تتعارض فيه رغبته مع رغبة أسرته أو عائلته بشكل عام هل يغلب رغبته أم رغبة الأسرة؟

يغلب رغبته () . يغلب رغبة أسرته ()

ثالثاً) ما مقدار سماعك لهذه الكلمات (أو الأفعال) في مجتمعنا حسب الجدول التالي:

لا تتردد (أو لا تحصل) أبداً	تردد (أو تحصل) قليلاً	تردد (أو تحصل) أحياناً	تردد (أو تحصل) كثيراً	تردد (أو تحصل) دائماً
٠	١	٢	٣	٤

الكلمة	الإجابة
هذا ما أريده بغض النظر عن الآخرين.	
انتقاد الآخرين	
العيب	
طاعة الوالدين ولو كانوا على خطأ.	
احترام الأسرة ولو على حساب راحة الفرد	
التدخل في شؤون الآخرين.	

الكلمة	الإجابة
السمعة.	
المجاملة.	
الحرية الشخصية	
المسؤولية الفردية.	
شكلي أمام الناس.	
كلام الناس	

Abstract

In many studies, conducted in Saudi society, conceptual variations have been reported. This study addressed such phenomenon assuming that due to collectivism, which characterized Saudi society, such variations have occurred. But this "cultural peculiarity" manifested in other domains: the differences between males and females; and the crucial role of "other's impression on self". Finally, the concept of individualism/collectivism was questioned from cultural angle emphasizing that such concept was itself an outcome of a cultural characteristic; namely the western cultural.